المشرق

التذكار المئوي

لوفاة السعيد الذكر السيد اغناطيوس ميخائيل جروه

اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك (١

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٦ ايلول من السنة ١٨٠٠ استأثرت رحمة رب الانام. باحد جنود المسيح الشهام. الذين دافعوا عن الحق بقلب اشدّ من الرئبال. وثبات طالما سخر من النوائب والاهوال. ألا وهو بطلٌ اذاقهُ اعداؤهُ ضروب الشجون. وهو يريهم الصبر كيف يكون. الى ان حلَّ الله رباقهُ. وارخى خناقهُ. فجملهُ كخليله ابراهيم. ابًا لنسل عظيم. نريد الطيب الذكر والحميد الأثر. اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك السيد ميخائيل جروه. الذي بلغ من الكمال الذروة

فلم يرضَ ابناء ملّتهِ الافاضل. ان يمرّ هذا التذكار القرنيّ دون ان يُقام لصاحبهِ عيد حافل. فلمّا كان الاحد الواقع في ١٦ ايلول الماضي. جرت في كنائس الطائفة السريانية. حفلات شائقة دُعي اليها وجوهُ الملل الكاثوليكية. فأُقيمت رتبة القداس لراحة نفس ذلك الحبر الهمام. الذي ادخل رعيّتهُ في حظيرة الأمن والسلام. وفي ختام الذبيحة النقيّة. تُليت صلوات الجناز باصوات شجيّة. وفي بعض الاماكن تسنَّم المنابر مصاقيع الخطباء. فأثنوا على المحتفَل بذكرهِ اطيب الثناء. وعدّدوا مناقبهُ الغرّاء. التي اكسبتهُ مجدًا لا تغتالهُ ايدي البلاء.

وبهذه النسبة احببنا نحن ايضًا ان ندوّن في صفحات المشرق خلاصة اعمال هذا

١) اننا نعتبر هنا سلسلة بطاركة السريان الكاثوليك منذ انفصالها عن السلسلة اليعقوبيّة

البطريرك الجليل ليرى الشرقيون لاسيما السريان ما قاساهُ اجدادهم في سبيل الايمان . فيزيد اعتبارهم لدين كلّ ما سواهُ فانٍ . فيحافظوا عليهِ محافظة الضنين . على الكنز الثمين

١

وُلد ميخائيل جروة سنة ١٧٣٦ للميلاد في مدينة حلب وكان والداهُ من شيعة السريان اليعاقبة الّا انهما كانا يسيران في مذهبهما ببساطة القلب فلم يعاندا الحقّ . ونشأ ابنهما ميخائيل مقتديًا بآدابهما لا يشك في صحّة دينهِ . الّا ان الله بعنايتهِ الصمدانيّة ارشدهُ مذ ذاك الوقت الى معرفة كثيرين من مواطنيهِ الذين كانوا جحدوا اضاليلهم ليدينوا بالايمان الكاثوليكي

والحقّ يُقال انّ الشهباء كانت اضحت في اوائل القرن الثامن عشر مركزًا مهمًّا لحركة ارتداد الطوائف المنفصلة والفضل الاعظم في ذلك عائد الى المرسلين اللاتينيين الذين قدموا تلك المدينة بامر الاحبار الرومانيين نخصّ منهم بالذكر الآباء اليسوعيين

وكان اوّل دخول الرهبانيّة اليسوعية في حلب سنة ١٦٢٥ في عهد البابا اوربانوس الثامن اتاها بايعاز الكرسي الرسولي الابوان الفرنسيَّان حنّا ستيلّا (Stella) وغسيار مَنيليار (Maniglier) . فما كادت قدمهما تستقرّ في الشهباء حتى ثارت عليهما ثوائر الشحناء ورشقتهما سهام الحسد الى ان منحهما الله الفوز التامّ بمن ناواهما . وكان منزلهما في خان الفرنج يخدمان النفوس خدمةً نصوحًا كما ذكر ذلك القنصل الفرنسيّ دَرڤيو (Le Chevalier d'Arvieux) في كتاب اعماله وحوادث حياتهِ وأَلحقهُ بالثناء الجميل

وممّا سعى بهِ اليسوعيون مذ ذاك الحين انّهم جمعوا كلمة الكاثوليك وانشأوا اخويّات تقويّة انضوا فيها روح الدين وكان اعضاء هذه الجمعيات من جميع الطوائف فزاد بذلك ائتلاف القلوب ونما التحابُّ مع نموّ التقوى والاعمال الخيريّة

وكانت هذه الاخويّات لا تزال في ازدياد متواصل حتى اضطرّ المرشدون ان يقسموها الى ستّة اقسام كانوا يديرونها في كنائس البلدة واضافوا اليها ارشاد الاحداث وتلقين الجهّال التعليم المسيحي

على انّ المرسلين لم يكتفوا بتهذيب الطوائف الكاثوليكيّة بل صرفوا نظرهم الى الاخوة المنفصلين ليجتذبوهم الى سراط الحقّ فوفّق الله مساعيهم وردّجوا عددًا غفيرًا

من الارمن والروم(١ واليعاقبة لا يقلون عن عشرة آلاف نسمة . وقد اشتهر منهم بالغيرة في هداية الضالين الآباء اليسوعيون ايرونيم كيرو (Queyrot) واميو (Amieu) وحبيب شيزو (Chézaud) وغليوم غوده (Godet) وميخائيل نو (Nau) ورينه كليسون (Clisson) وانطون ناخي الماروني التبريبي وبطرس فرومانج الذائع الشهرة وجبرائيل ديسورغ (Désorgues) وفرنسيس كوسه (Causset) واسطفان كوينو (Cuénot) ولكل هؤلاء الآباء رسالات وتآليف تشهد لهم بسمو الفضل وسعة المعارف

وقد وجد المرسلون في قلوب اليعاقبة الحلبيين خصوصاً ارضاً جيدة ألقوا فيها بذر الايمان فجاءت بثمار حسنة ابهجت كنيسة الله . فمن ذلك انهم افرغوا جهدهم في اواسط القرن السابع عشر في هداية اندراوس اخيجان الى نور الحق . ولما توفي قسطنطين مطران حلب على اليعاقبة اقنعوا الشعب بان يختاروه لهم راعياً ثم ارسلوه الى لبنان الى غبطة البطريرك الماروني يوحنا الصفراوي الذي سقّفهُ على حلب باذن الكرسي الرسولي . ولم يلبث الحبر الاعظم اقليميس التاسع ان يرسل لهُ درع الرئاسة وجعلهُ بطريركاً على المرتدين الى الكثلكة (١٦٦٧) فدُعي اغناطيوس اندراوس . وخلفهُ في رتبته بعد وفاته (١٦٧٨) بطرس غريغوريوس اغناطيوس . الّا ان يعاقبة دياربكر وماردين اثاروا عليه الاضطهادات الشديدة وسلبوهُ كنيسته في حلب وألقوهُ في السجن وفيه توفي (سنة ١٧٠١) لما نالهُ من المحن والبلايا . وبقي الكرسي البطريركي بعدهُ فارغاً اثنتين وثمانين سنة

على انّ الحزب السرياني الكاثوليكي لم يتزعزع في ايمانه من جرّاء هذه الشدائد بل ازداد ثباتاً شأن الشجرة التي تعصف بها الريح فتتأصل جذورها في اعماق الارض . وكان مع ذلك عدد الذين نبذوا البدعة اليعقوبية لا يزال في نمو دائم الى ان اقام الله ميخائيل جروه فجعلهُ في يده القديرة كآلة لخلاص اهل جلدته

١) كنّا ذكرنا في المشرق (٢ : ٢٦١ و ٧١٩) انّ العلّامة الشهير عبد الله زاخر ممّن ارتدّوا في شبابهِ عن الهرطقة الى الايمان الكاثوليكي على يد المرسلين . وقد قرأنا في كتاب تاريخ انطون بن الشيخ أبي خطّار (ص ٧٢) ان الخوري الماروني الشهير بطرس التولاوي البتروني ممّن سموا في جذب عبد الله زاخر الى الايمان الكاثوليكي . هذا كلامهُ بالحرف قال : « وصار للخوري بطرس التولاوي جماة تلاميذ فن الملكية اثنين (كذا) وهما عبد الله زاخر المشهور بالطبع والخوري نيقولا الصائغ . وهذين (كذا) قد ردّهما من الهرطقة والكفر الى القرار بالكنيسة الرومانية »

٢

قلنا ان ميخائيل في صباه عرف الدين الكاثوليكيّ واجتمع باصحابهِ في وطنهِ. لكنَّ الله سمح بان يبقى الى مدةٍ في ضلالهِ ليحصل من ذلك خير اعظم لطائفتهِ. وقد اخبرنا هو بنفسهِ كيف تمَّ امر ارتدادهِ في كرَّاسةٍ مخطوطة تُصان الى اليوم في مكتبة دير سيدة النجاة في الشرفة اطلعنا عليها حضرة رئيسها الفضال الخورفسقوفوس بولس هبرا

ومما افادنا في ترجمة حياتهِ المذكورة انهُ رُقي الى درجة الكهنوت في سنة ١٧٥٧. الى ان قال:

« وبعد ارتسامي قسيساً باشهر قليلة اقامني البطريرك اليعقوبي كيوركيس (جرجس) الثاني رئيساً على كنيسة حلب لانني كنتُ وقتئذٍ اراتيكيًّا عاميًا عن ارطقة ديوسقوروس ومحبًّا خصوصيًّا للبطريرك المذكور. غير انَّ المنعم الرحوم المحبّ ان يُقبل الجميع الى طريق الخلاص انار عقلي وصيَّرني ان افهم واذعن للحقّ فابتدأت حينئذٍ اسعى في ان يقبل الحقَّ مني جميع شعبي وبني جنسي . . . وقد تعبتُ جدًّا وغرمت اموالاً جزيلة وحصلت لي اضطهادات صعبة جدًّا ثماني سنوات حتَّى رفعتُ من كنيستي العوائد الاراتيكيَّة وادخلتُ بدلاً منها عوائد الكنيسة الكاثوليكية »

وكان القس ميخائيل في تلك الاثنا مرتابًا في امرهِ يضمر في نفسهِ الكثلكة وهو مع ذلك لا يذعن لها تمامًا وانّما يجترئ باتخاذ بعض العبادات الكاثوليكية والاقتداء بالمرسلين اللاتين. وقد اخبرنا عنهُ الاب فرنسيس كوسّه (Causset) اليسوعي انهُ انشأ بين ابناء ملَّتهِ شركة الورديَّة والاخويَّات والارشادات وكان يقرأ لهم فصولاً من الكتب الكاثوليكية كمدخل العبادة للقديس فرنسيس سالس والكمال المسيحي لرودريكس وتأملات الجسري. فجعل كثيرون يتقاطرون الى استماعهِ وهو مع ذلك لا يزال تحت طاعة البطريرك اليعقوبي ساكتًا عن تعليم بدعتهِ

فخاف اليسوعيون ان تكون طريقة القسّ ميخائيل جروه احبولةً لصيد السذَّج فيعود بهم الى الضلال. ولدينا رسائل وجَّهها اليهِ الاب فرنسيس كوسّه (١ المذكور سنة ١٧٦٠ يشرح لهُ فيها الايمان الارثدكسي ويبيّن ضلال اليعاقبة ويحضُّهُ على نبذ شيعتهِ تامًّا لئلا يصير حجر عثرةٍ لذوي نحلتهِ. فما بلغت هذه الرسائل القس ميخائيل حتى جزم على الرجوع التام الى حظيرة المسيح. ثمَّ اردف القس ميخائيل:

١) مات هذا الاب سنة ١٧٦١ شهيد محبتهِ في خدمة المطعونين

« واذ نظرتُ بعد كلّ عملي هذا اني لم اقدر ان اظهر ذاتي كاثوليكيًا بالتمام لشدة خوفي من الهراطقة ذهبت الى مدينة ديار بكر التي تبعد عن حلب خمسة عشر يومًا حيث كان البطريرك اليعقوبي كوركيس الثاني الرهاوي مقيمًا. فبقيت عندهُ سنة كاملة لاجتذب قلبهُ نحوي وانا اتباحث مع اليعاقبة هناك واتودَّد اليهم وارشدهم وابذر زرع الايمان الكاثوليكي خفيةً. غير اني ما قدرتُ على جذب قلب البطرك بل صيَّرني اسقفًا على حلب جبرًا وقهرًا (١ وامرني ان ارجع الى بلدي واردّ جميع عوائد الاراطقة كما كانت قبلًا. فلمَّا نظرتُ اني ملتزم بالرجوع اضمرت في قلبي بكل شجاعة مسيحية اني لا افعل من مطلوبات البطرك شيئًا بعد وصولي الى حلب مهما جرى لي بل ازيد عمَّا كنتُ عليهِ قبلًا لاني صرتُ الآن اسقفًا ورئيسًا. غير انَّهُ بعد رجوعي الى حلب بايَّام قليلة مات هذا البطرك مصرًّا على عنادهِ وقام آخر غيرهُ شرّ منهُ وهو الموصلي كوركيس (جرجس) الثالث فصار يضطهدني بالاوفر فسبَّب لي اتعابًا شاقَّة وغرَّمني اموالاً وافرة. فحينئذٍ اتَّفقت مع المتقدّمين في كنيستي وذهبتُ الى دير الزعفران الذي يبعد عن حلب مقدار عشرين يومًا وتواجهتُ هناك مع هذا البطرك وقصدي اخذ خاطرهِ وجذب قلبهِ بالمال لانَّهُ كان شديد الطمع البهِ لاقدر ان أجاهر انا وكنيستي بالايمان الكاثوليكي فما امكنني ذلك. بل امرني بعد اخذ المال ان اجلس في الدير عندهُ فبقيت مقيَّدًا تحت حكمهِ اربع سنوات كاملة اقدّس مع شماسي في مكان منفرد. غير انهُ في اثناء ذلك جرى المتقدّمون في حلب حسب الاتِّفاق وبكل دراية مقدسة مع مساعدة الاباء المرسلين فنادوا بالايمان الكاثوليكي في كنيستي واظهروا ذواتهم جهارًا وارسلوا مَن يخبرني بما صنعوا

« فلمَّا بلغ البطريرك الاراتيكي خبر هذا العمل المقدَّس نسبهُ اليَّ في الحال وزاد في اضطهادي لوجودي بين يديهِ. غير انَّ القوَّة الالهيَّة اعانتني في تلك الايَّام حتَّى صبرتُ على كلّ ما جرى عليّ ولمَّا وجدتُ فرصةً مناسبة هربت الى حلب »

وكان الحبر الاعظم في تلك الاثناء قد بلغهُ خبر ارتداد الاسقف جروه وملَّتهِ الى حِجر الكنيسة الرومانية فارسل احد قصَّادهِ ليجتمع بهِ ويفحص عن صحّة ايمانهِ. فكان اوَّل ما فكَّر فيهِ ميخائيل ديونيسيوس ان يستدعي القاصد الرسولي الى بيت ابيهِ ليتلو بين يديهِ وبحضور عدد وافر من الاكليروس دستور الايمان المستقيم. فلمَّا تلاها نال الحلّ عن الارطقة وحرَّر كتبًا الى المجمع المقدَّس يوضح فيها خضوعهُ التامّ لرئيس الاحبار وخليفة هامة الرسل وارسلها الى رومية مع صورة ايمانهِ ممضاة باسمهِ وختمهِ

فسرَّ ابو المؤمنين بمطالعة هذه الرسالة وأيَّد صاحبها بسلطانهِ ومنحهُ نعمًا ومواهب خصوصية اعربت عن انعطافهِ السامي. لكن ابليس عدوّ كل خير لم يدع ابن الكنيسة زمنًا طويلًا دون ان يثير عليهِ فتنًا جديدة كادت تذيقهُ العلقم. فانَّ البطرك اليعقوبي لمَّا بلغهُ انَّ اسقف حلب خرج عن طاعتهِ قدم مسرعًا الى حلب وصحبتهُ مطارين ورهبان

---

١) ودُعي حينئذٍ ميخائيل ديونيسيوس

واستعان بالقوة الجبرية فضبط الكنيسة وكبل اسقفها بالقيود وحبسهُ مدة واذاقهُ مرّ النكال. لكنَّ الله افرج عن المظلوم بعد قليل فاخرجهُ الحكام من حبسهِ مكرمًا واعادوه الى كنيسته وقمعوا طغيان مضطهدهِ الذي اضطرَّ الى ان ينتقل راجعًا الى دير الزعفران وقلبهُ يتلظى غيظًا على طريدته المتملصة من بين يديهِ. فاخذ من ثمَّ يرسل مناشيرهُ الى كلّ الجهات يُعلن بها حرم اسقف حلب غير انَّ سهامهُ ذهبت طائشة

وكان حزب ميخائيل ديونيسيوس جروه يتقوَّى يومًا فيومًا وكثير من الحلبيين يجحدون الضلال اليعقوبي الى ان سوَّل الشيطان لبعض هراطقة الارمن ان يعضدوا اليعاقبة ويسعوا بهم ظلمًا عند ذوي الامر ويتخذوا الرشوة كشِصّ لترويج غاياتهم. فاجتمعوا في يوم من آحاد السنة زرافات وباغتوا الكاثوليك في ساعة القداس الكبير فضربوا قومًا منهم واقتادوا غيرهم الى السجن وبدَّدوا شمل الرعيَّة جمعاء. امَّا راعيهم فنالهُ من المحن اضعاف ما نال اصحابهُ فانَّ اعداءهُ اوسعوهُ ضربًا وكبَّلوهُ بالاغلال وابرزوا عليه حكمًا ليُقتَل شنقًا. وكاد الامر يتمُّ فعلًا لولا انَّ الله ألهم بعض اهل الخير وذوي النخوة فتشفَّعوا به وافتدوهُ بالمال وبيَّنوا براءتهُ حتى انقذوهُ من يد اعدائهِ. وكان من جملة من توسَّطوا في امرهِ روسّيل ممثِّل الدولة الفرنسويَّة والترجمان موسى انطون

فلمَّا رأى الهراطقة ان مساعيهم ذهبت ادراج الرياح كتبوا الى بطرك الارمن في الاستانة العليَّة يستعينون بهِ ليصدر لهم امرًا في نفي خصمهم الألدّ ميخائيل جروه مع كهنتهِ واعيان كنيستهِ ووعدوهُ بالمال الوافر ان مكَّنهم من الكاثوليك اعدائهم. فطمع البطرك بالمال الموعود ولم يدَّخر وسيلة لتحقيق آمال اصحابهِ الى ان أفازهم بالمرغوب. فارسل من يبشّر يعاقبة حلب بصدور الحكم. فسُرَّ هؤلاء ومنّوا النفس بالظفر القريب

امَّا المطران ميخائيل فانَّهُ لم يرَ طريقة للنجاة من هذه المحنة الجديدة ألَّا ان يفرّ من ايدي اعدائهِ فقام ليلًا وهرب الى اللاذقيَّة ثمَّ ابحر الى قبرس ومنها الى الاسكندريَّة وبقي هناك مختفيًا مدَّة سبعة اشهر. فكتم اليعاقبة براءة الحكم وأشاعوا انَّ مساعيهم قد حبطت وانَّ الامر في نفي ميخائيل جروه لم يصدر قطعًا. وكان ذلك مكيدة منهم نصبوها ليوقعوا في اشراكهم عدوهم الازرق

فنما هذا الخبر في حلب وصدَّقهُ الكاثوليك وكتبوا لمطرانهم ان يعود مطمئنًّا الى كنيستهِ. فانثنى ميخائيل عائدًا الى كرسيهِ على طريق رشيد ثمَّ دمياط ثمَّ يافا وتبرَّك بزيارة قبر المسيح في القدس الشريف وواصل سيرهُ الى اللاذقية فحلب

وكان اليعاقبة راصدين لخصمهم حتى اذا استقرَّت قدمهُ في ربع وطنهِ اشهروا للحال براءة الحكم في نفيهِ. فلمَّا وصل تحاملوا عليهِ باجمعهم وضبطوا كنيستهُ واخرجوهُ من حلب مهانًا مشبعًا باصناف الآلام. قال في ترجمة حياتهِ:

« ووضعونا عند الجلّاد في البرّية مدة ١٣ يومًا الارضُ فراشنا والسماء غطاؤنا والجنازير (الزناجير) في رقابنا والقيود في ارجلنا ليلًا ونهارًا مع اتصال التهديدات والتخويفات بالقتل والتي وطلب اموال تفوق القوَّة حتَّى قطعنا الرجاء من الحياة »

وما سكنت هذه الثورة الَّا بنعمة خاصَّة من الله فمدَّ الربُّ يد المساعدة الى عبدهِ وخلَّصهُ من مخالب اليعاقبة اعدائهِ وذلك بعد ان تكفَّل بدفع اربعين كيسًا من المال اعني عشرين الف غرش وكان هذا المبلغ في تلك الأيام عبارة عن ثروة واسعة لا يحصل عليها الَّا كبار الاغنياء. فمن ثمَّ قاسى المطران ميخائيل شدائد عديدة ليجمع هذا المال الطائل واعداؤهُ لا يزالون يتأثرونهُ الى ان دفع لهم آخر فلس. قال السيد ميخائيل في ترجمة حالهِ:

« غير انَّ الهنا العادل انتقم لنا وشيكًا من هذا البطرك الظالم حيث انهُ بعد مدَّة قليلة دهاهُ مرضٌ عضال انفصلت بهِ نفسهُ عن جسدهِ ومات بهذه الحالة التعيسة مصرًّا على عنادهِ »

٣

كانت وفاة البطرك اليعقوبي جرجس الثالث الموصلي في اوائل سنة ١٧٨١. وبهِ انقطعت سلسلة بطاركة اليعاقبة الشرعيَّة وابتدأت سلسلة كاثوليكيَّة اعادت لكنيسة السريان رونقها القديم وهاك بيان الخبر كما رواهُ المطران ميخائيل جروه قال:

« وبعد وفاة البطرك حالًا اتَّفق جميع اليعاقبة وسريان بلاد ما بين النهرين مع مطارنهم والرهبان والكهنة وارسلوا اليَّ معروضات مختومة وممضاة من جميعهم مع احد السعاة فاعلموني بموت بطركهم ودعوني لأقوم عليهم بطركًا عوضًا عنهُ وكانوا في كتابهم يستحلفونني في ان اسرع بالحضور اليهم بغير تأخير. فبعد وقوفي على كتبهم وطلبهم ارسلتُ اليهم جوابي بعدم امكاني من قبول دعوتهم لاني انا بنعمة الله كاثوليكي وهم يعاقبة. . فلمَّا وصلهم جوابي عادوا فكتبوا لي رسائل جديدة ضعف الاولى امضوها وختموها باسماء جمّ غفير من جماعتهم. وكان مضمون هذه الكتابات انهم جميعًا بقلب واحد ورأي واحد يرتضون بايماني ورأي الكاثوليك وانهم قد رفعوا (من كتبهم

الكنائسية) اسماء السبعة المحرومين ونقطة «يا من صُلبتَ لاجلنا» واخم يفعلون بها امرتُهم بشرط ان اصير عليهم بطريركاً. وهكذا صارت التحارير ثلاث مرات بكلّ حاجة مدّة ثلاثة اشهر. فلمّا نظرتُ ثباتهم على رأيهم سرت اليهم بمشورة من لهم المشورة واخذتُ معي كهنة وشمامسة من حلب وتكلّفتُ في ذلك كلفاً زائدة. وكان دخولنا ماردين في ١٥ تشرين الثاني ١٧٨١ بعد سفر ١٢ يوماً. فاستقبلنا اليعاقبةُ بكل اكرام وجعلوا يتواردون الينا كباراً وصغاراً ويرتشدون بالايمان المقدس ويقبلون الحلّ من الارطقة»

ثمّ بقي المطران جروه اياماً يتجسّس احوال الجماعة ليرى صدق طويّتهم وهو لا يدخل كنائسهم. والقوم في تلك الاثناء يأتونهُ افواجاً افواجاً ويتوسّلون اليه بان يذهب الى كنائسهم ويكرّسها ويقرّب فيها الذبيحة الالهيّة. واقبل اليه ايضاً الاساقفة وخضعوا لهُ بعد ان نبذوا الاضاليل اليعقوبية. وتأخر منهم اثنان كانا سابقاً في خدمة البطريرك المتوفّى وتشرّبا بغضهُ للكثلكة فاخذا يستميلان اليهما الشعب ويغويانه بكلامهما الباطل ويزرعان زوان الفساد. فظنّ المطران ميخائيل انهما طامعان في البطريركيّة فسمح لهما فيها بشرط ان يتّحدا بالكنيسة الرومانية ويتلوا صورة الايمان المفروضة من البابا اوربانوس فأبيا وثبتا في غيّهما وهما مع ذلك ساعيان في ضبط الكنائس لئلا يدخلها المطران الكاثوليكيّ وقدم ايضاً مطران القدس بعد مدّة واتفق معهما فكان ثالثة الاثافي

امّا الحزب الكاثوليكي فلمّا رأى شراسة هؤلاء تخوّف من استفحال الامر فاستولى على احدى الكنائس وصار المطران جروه واتباعهُ يقيمون فيها الرتب الطقسيّة. ثمّ استمالوا اليهم الحكّام وارسلوا جميعاً الى والي بغداد لوقوع ماردين تحت حكمه وطلبوا اليه ان يرخّص لهم بانتخاب مطران حلب بطريركاً على دير الزعفران ريثما ينال من الباب العالي فرماناً مؤذناً بذلك. قال السيد ميخائيل في ترجمة نفسه:

«فحضر من والي بغداد امر للحاكم ان يلبسني كركاً (فروة) ويقيمني بطريركاً على دير الزعفران وعلى السريان كافةً وكتب انهُ ارسل الى الباب العالي ليحضر الفرمان. فللحال قبل حاكم ماردين كما أُمر. وبعد ان اخذوني باحتفال عظيم والبسوني الحلّة البطريركية قادوني من هناك الى الكنيسة الكبيرة الوف امامي والوف ورائي. وحينئذٍ حضر جميع المطارين وادّوا لي الخضوع واربعة منهم تلوا صورة الايمان التي لاوربانوس البابا. وبعد ايام قليلة في ابتداء كانون الثاني من سنة ١٧٨٣ اخذني هؤلاء الاربعة الى دير الزعفران وهناك رسموني بطريركاً (١ عليهم بحضور اساقفة الارمن والكلدان

١) وزاد مذ ذلك الوقت على اسمهِ اسم اغناطيوس فعُرف باغناطيوس ميخائيل . واما اسماء المطارنة الذين جلوهُ بطريركاً فهي ابراهيم ونعمة وموسى وجرجس بشاره

الكاثوليكيين والمرسل اللاتيني في ماردين· وحضر هذا الاحتفال الوف الوف من الشعب. ثمَّ بعد يومين رجعنا الى البلد . . . وارسلت كهنة كاثوليكيين لقبَّة الكنائس »

وبينما كانت تلك الرتب الجليلة تُقام في دير الزعفران كان الاسقفان العاصيان المارّ ذكرهما يدسّان الدسائس للبطريرك الجديد فانهما سلبا كلَّ مال البطريرك المتوفَّى وهربا مع الرهبان من اتباعهما الى جبل العصاة اعني طور عابدين حيث يقيم جمهور كبير من اهل بدعتهم ذوي اطباع فظّة واخلاق شرسة فاحتميا عندهم وتآمرا معهم على قتل البطريرك وكان قصدهم ان يدخلوا المدينة ليلًا ويقتلوا البطرك في داره لانَّ بيوت ماردين راكبة على بعضها بغير حائط ولا حجاز يسهل الولوج فيها. فعلم البطرك واحتار في امره وممَّا زاد على خوفه ما رآهُ في تلك الاثناء من اكراد الجبال الذين عصوا الدولة العليَّة وفتحوا ماردين عنوةً وكان اليعاقبة يراطنونهم في سوء اعمالهم. فلم يجد البطرك الكاثوليكي بدًّا من ان يتوارى من وجه اعدائهِ وكان يختفي في كلّ ليلة في بيت احد انصاره ويعهد بحراسة الكنيسة الى بعض الناس الامناء. امَّا النهار فكان يقضيه في الصلاة في البيعة

وبقي الامر كذلك الى يوم خميس العهد فاجتمع من الهراطقة قوم كبير ودخلوا الكنيسة الكبرى وقصدهم ان يقتلوا البطريرك فاخذوا يصرخون ويتهدّدون رجل الله ويلومونهُ على عدم اجازتهِ للكهنة اليعاقبة ان يصلوا في كنيستهِ . فاحاط الكاثوليك بالبطريرك ودافعوا عنهُ وردُّوا اعداءهُ خاسرين. ثمَّ عاد هؤلاء الاشقياء مرارًا كثيرة يكرّرون في انجاز مقصدهم الشرير فلم ينجحوا الى ان ارسلت الدولة السنيَّة حاكمًا يطرد الاكراد من ماردين فتمكَّن منهم وقطع دابرهم وخاف اليعاقبة من سطوة الدولة فعادوا الى جبالهم واخبروا مواطنيهم انهم لم يحصلوا على فرصة مناسبة لتتميم مرادهم

ثمَّ ارسل البطريرك ميخائيل اغناطيوس كتابًا مطوَّلًا الى امام الاحبار بيوس السادس يخبره بكيفيَّة انتخابهِ وما نالهُ بسبب ايمانهِ من المحن والبلايا وهو يطلب من الحبر الاعظم ان يثبّتهُ في منصبهِ الجديد. فاجاب الاب الاقدس الى ملتمسهِ في منشور اصدرهُ في ١٤ ايلول من سنة ١٧٨٣ ومنحهُ السلطة التامَّة على طائفة السريان وقلّدهُ درع البطاركة على يد اسقف بغداد اللاتيني حنَّا ميرودو دو بُرج (Miroudot du Bourg) وابطل انتخاب كلّ دخيل سواهُ

وذلك انَّ اليعاقبة لمَّا رأوا انَّ طائفتهم اوشكت على الاضمحلال بانتخاب البطريرك جروه شرعيًّا اجتمعوا تحت امرة احد المطارنين العاصيين المدعو متى واختاروا لهُ اربعة من الرهبان اساقفة يتمّ بهم العدد اللازم ليختاروهُ بطريركًا. فاجابوا الى ملتمسهِ ونصبوهُ بطريركًا دخيلًا

وكان متى المذكور رجلًا جسورًا كثير الحيل. فاشهر على خصمهِ حربًا عوانًا لم تخمد لظاها الَّا بعد سنتين قاسى في مدَّتها البطريرك الشرعي ضروب النكبات وابتُلي بأصناف البوائق

واوَّل ما فعلهُ متى الدخيل انهُ منع بدسائس البطريرك الارمني في القسطنطينيَّة صدور الفرمان الذي طلبهُ والي بغداد مع غيرهِ من الذوات لمخائيل جروه فقويت شوكة المضادّين وزادوا ظلمًا وتعصُّبًا واغتصبوا كنيستَي دياربكر وماردين من ايدي الكاثوليك وترعوا عنهم ايضًا كنائس القرى المرتدَّة الى الايمان. وبلغت بهم الوقاحة الى ان سعوا بقتل خوري كاثوليكي يدعى يعقوب كان رقّاهُ البطريرك الشرعي الى درجة الكهنوت فمات وهو يصرخ « اموت على دين المسيح كاثوليكيًّا »

ثمَّ دخل البطريرك الدخيل دير الزعفران ولم يزل يقوم ويقعد الى ان قبض على خصمهِ وطلب منهُ الطاعة فابى فالقاهُ في حبس مظلم بقي فيهِ اربعين يومًا ثمَّ اخرجهُ واتى بهِ الى دير الزعفران وهو ينوي ان يتخلَّص منهُ ويقتلهُ خفيةً. فلم يسمح الله باجتراح هذا الاثم الفظيع وبلغ حاكم ماردين عبدي باشا ما فعل متى الدخيل فانقذ اغناطيوس جروه من يديهِ وعاقبهُ على سوء معاملتهِ لهُ. ثمَّ عاد الدخيل الى اعمالهِ الفظَّة بعد خمسة اشهر وانتهز لذلك فرصة تغيير الحاكم. ولم يجد البطريرك القديس مفرًّا من هذه الاضطهادات الَّا الهرب فاتصل بقوم من العرب والاكراد وسافر معهم الى الموصل على طريق البرّيَّة والتجأ بوالي الموصل. وبقي تحت حماهُ مدَّةً وهو يرشد الكاثوليك الذين ارتدوا الى الايمان على يدهِ وكان بعث اليهم سابقًا من حلب كاهنًا يرشدهم. فثبّتهم في ايمانهم مدَّة شهرين قضاهما في الموصل

غير انَّ خبر هرب البطريرك الكاثوليكي شاع بعد زمان فعرف خصمهُ الدخيل..

---

١) راجع ملحق البولاريوم (Append. ad Bullarium II, 273)

انهُ في الموصل فارسل الى والي بغداد شكايات كاذبة عليه يدَّعي زوراً انهُ من اعداء الدولة. فلم يصدّق والي بغداد هذه الوشايات لكنّهُ كتب الى والي الموصل يستقدم البطريرك الى بغداد فاركبهُ نهر دجلة على الطّوف (الكلك) وارسلهُ الى مدينة السلام. فلمَّا بلغها فحص الوالي عن امره وتبيَّن براءته وتحقَّق كذب اخصامهِ ثمَّ وعدهُ بان يسعى لدى الباب العالي فينال لهُ فرماناً ألّا انَّ رغائبهُ لم تتم بالفعل لبعد المسافة بين بغداد والاستانة العليّة ولقلة ذات يد السيد ميخائيل جروه

وكان البطريرك الدخيل في غضون ذلك لم يألُ جهداً في قلع بذور الكثلكة وهلاك زعيمهم يعينهم على بلوغ غايتهم البطريرك الارمني الاراتيكي. فنال اوامر جديدة تثبت لهُ الحقوق على خصمهِ وتقضي بنفيه من بلاد ما بين النهرين. فارسل والقى القبض على المطارين والكهنة وائمّة الكاثوليك في ماردين وشدَّد عليهم لينكب بهم عن معتقدهم فرذلوا قولهُ كلهم بلسان واحد وآثروا كل البلايا على مطاوعتهِ

وعلم البطريرك ميخائيل جروه في بغداد انَّ مصائب جديدة تنتظرهُ إلم يهرب من وجه اعدائهِ اليعاقبة. فجمع في بغداد اعيان الكاثوليك سرّاً وطلب منهم المشورة. فاشاروا اليه ان يفرَّ هارباً الى سواحل الشام لقلة اليعاقبة في تلك الجهات ويقصد من ثمَّ بلاد كسروان وقرضوهُ مبلغاً من المال لينفقهُ في لوازم سفرهِ. واخبر عن نفسهِ قال:

« واعتزمت بالخروج من بغداد بالليل خفية متردّياً بلباس احد العرب ماشياً بلا ركب ومعي رفيقان. ولمَّا وصلنا الى مكان بعيد خارجاً من المدينة ركبنا الجمال التي لم اعرف قط ركوبها صحبة ثلاثة انفار من العرب استكريناهم إياهم بجانة من الذهب وكنَّا مع ذلك خالين من الحوائج الضرورية في طريق القفر الخالي من الماء بل المملوءِ خوفاً ورعباً من الوحوش الضارية واصحاب الغزوات. وهنا أصمتُ عن ايراد ما قاسيتهُ في هذا الطريق المخيف. وعلى كلّ ذلك كان الدم يجري من كل جسدي كالينابيع لاجل سرعة الذهاب وطول السير وكان العرب من اصحابنا اخذونا على طريق بعيد جدًّا من خوفهم من قاطعي الطرق ومن قبائل اعدائهم. ولذلك كنا نسير في الطرق غير المسلوكة ونضطرّ في بعض الاحيان ان ننزل في بعض اودية تلك البريَّة لئلَّا ينظرنا الغزاة ويقتلونا. ولم نزل نواصل السير بسرعة غريبة حتَّى قطعنا مسافة ستين يوماً بخمسة عشر يوماً فوصلنا الى تدمر. وحينئذٍ سمعوا عن احوال الشام ما ملأهم خوفاً فامتنعوا ان يذهبوا معنا واخذوا جمالهم وتركونا بين ايدي عرب تلك الناحية. فاصابنا رعبٌ شديد وقطعنا الرجاء من الحياة كليًّا ثم سلَّمنا امرنا الى ارادة الله والتجأنا الى مريم البتول سيدة النجاة لتخلّصنا من هذه الشدَّة كما نجَّتنا وحفظتنا في كلّ مسيرنا. فألهمت احد هؤلاء العرب وحنَّنت قلبهُ عليَّ فاركبني جملهُ وبذل نفسهُ في خلاصي

فذهب معي من تدمر الى القريتين ثم سرنا راكبين الحمير مع اناس مسلحين بالتفنك (البندقيات) فوصلنا ليلة احد الشعانين الى قرية بعيدة عن دمشق اربع الساعات تدعى المذراء جميع سكانها من المسلمين ورجع الاعرابي الى تدمر بجمله. فبقينا هناك يومين ولم ندخل المدينة لوجود المراطقة من الروم واليعاقبة فيها. ثم تحنن علينا ناس من اصحاب الحمير واركبونا حميرهم واخذونا من خارج دمشق بالليل الى قرية تبعد عنها نصف ساعة لاننا لم نجد طريقاً آخر الى جبل كسروان وبتنا هناك في بيت احد افاضل المسلمين يومين حتى سهّل لنا الله الرحوم الصعود الى كسروان. وكان وصولنا الى اوّل قرية منهُ في يوم السبت العظيم ليلة احد القيامة. ونزلنا في احد الاديرة الخربة (١ بجانب القرية ونحن في حالة التلف كمعدومي الحياة خالين من الكسوة والمعاش. وصرنا نقبل القوت الضروري عن حسنات المؤمنين الذين في تلك القرية. واما مطارنتي ورهباني والشمامسة خدامي الذين كانوا باقين في ماردين فصحّ لهم بعد اتعاب وافرة ان يهربوا بعضهم الى حلب وبعضهم الى مصر وبعضهم الى اماكن اخرى كما بلغنا ذلك عنهم اخيراً»

غير انّ البطريرك ميخائيل جروه لم يحصل هناك على الراحة التي كان ينتظرها. فانّ امور الشام كانت وقتئذٍ في اسوإ الاحوال وكانت الحرب قائمة سوقها بين الامير يوسف الشهابي والجزّار صاحب صيداء واستولى الخوف على جميع اهل تلك البلاد لما يعرفونهُ من شراسة الجزّار الذي كان دخل بيروت واخذ يتهدّد لبنان. فصار البطاركة والمطارين والرهبان انفسهم خائفين على ارواحهم لا يأمنون عليها في الجبل

ثمّ حضر بعد اربعة اشهر الى الدير الذي احتلّهُ البطريرك ميخائيل خمسون راهبة كنّ هربنَ من ديورهنّ فالتجأنَ الى هذا الدير ولم يعد مكان لغيرهنّ فدخل البطريرك الى بيت شباب ونزل عند بعض الفلاحين المحسنين فسكن عندهُ نحو اربعة اشهر اخرى يقتات من حسنات المؤمنين

٤

وفي تلك الاثناء زادت حالة البطريرك سوءا بمجيء احد اساقفته واحد شمامسته فضاق عليهم المعاش لاسيما انّ تلك السنة كان فيها غلاء عظيم دام الى اواخر سنة ١٧٨٥ لكنّ الله شفق بعباده وعُقد الصلح بين والي صيداء والامير يوسف. فقام البطريرك جروه مع حاشيته وتوغّل في كسروان فوجد فوق قرية درعون ديرًا يُدعى الشرفة لحسن موقعه وكان هذا الدير قد ابتناهُ سنة ١٧٥٧ الخوري يوسف الطرابلسي الدويهي فاتّفق البطريرك مع أصحابه واستأجرهُ منهم واتّخذهُ لهُ مقرًا وجعل كنيستهُ على اسم سيدة

١) هو دير ما انطونيوس النبع في قرية بيت شباب

النجاة (١ وكان ذلك في منتهى سنة ١٧٨٣ وترك معهُ حاشيتهُ فصار هذا الدير كمركز امين بل حصن حصين يلتجئ اليه كلّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة من السريان كما كان دير المخلص في الكريم ودير السيدة في بزمّار المجاورين لدير الشرفة مقاماً لبطريرك الارمن الكاثوليك ومن جحد الضلال من ملّته

الّا انّ البلايا والضيقات تتبعت غبطة السيد الجليل ميخائيل اغناطيوس جروه حتى في مسكنه هذا الامين. وذلك انّ فقره كان مدقعاً لا يكاد يلقى اللازم للقيام بمعاشه ومعاش ذويه وكان ينتظر حسنات من اهل رعيّته في حلب لكنّها تأخرت زمناً طويلاً لقلة الامان في الطرق بين حلب ولبنان وحدوث الطاعون وصعوبة المخابرات بعد وضع الحجر الصحي. ثمّ اخذ غرماؤهُ يطالبونهُ بديونه مع قلة ذات يده يلحّون عليه ويتهدّدون وكلاءه في حلب وماردين وبغداد بالحبس والاهانات. فكانت هذه الراسلات تزيد قلبهُ ألماً وهو لا يرى مناصاً من هذه البلوى الّا الصبر الجميل والدعاء الى الله بان يفتح لهُ باب الفرج

ووردت عليه ايضاً في أبان محنه المذكورة كتابات عديدة حرّرها اليه ابناء كنيسته المتمذهبون بمذهبه يعلمونهُ بما نالهم من النوائب والرزايا بسبب ايمانهم وكان البطريرك متى اليعقوبي الدخيل لا يزال يضايق عليهم ويغرّمهم اموالاً فوق طاقتهم حتى انّ كثيرين منهم صاروا في حالة يُرثى لها. وكلّ هذه الاخبار كانت في قلب هذا الاب الحنون كسهام صائبة تمزّقهُ تمزيقاً وتحلّ قواهُ لاسيما انهُ كان فقير الحال لا يمكنهُ ان يمدّ اليهم يد المساعدة. فصارت لذلك حياتهُ في عينه امرّ من الموت لكنهُ انتسى بأيوب البار والقى مقاليد امره على الله متّضعاً خاضعاً وقد كتب في ختام ترجمة حياته بعد ذكر كلّ هذه الملمّات والمصائب ما حرفهُ :

« فليكن اسم الرب مباركاً وممجّداً لانهُ خيراً صنع معي اذ ذلّلني لكيما اتعلّم حقوقهُ. نعم انهُ قصد تأديبي بآدابهِ المقدّسة لكنهُ للموت لم يسلّمني. . . فانا اشكر افضال إلهي على هذه الحال وعلى كلّ حال واطلب ممّن يطّلع على اسطرنا هذه ان يصلي لاجلنا ويلتمس لنا من الرب الرحوم نعمة الصبر ولاسيما الخلاص »

وكان تاريخ كتابة هذه الترجمة في سنة ١٧٨٥. وعاش البطريرك الجليل بعد ذلك

---

١) ثم ابتاعهُ بعد مدّة بمبلغ لا يتجاوز ٢٥٠٠ غرش كما ورد ذلك في صكّ مخطوط يحفظ في دير الشرفة

خمس عشرة سنة انقطع فيها الى الاعمال الروحيَّة والمساعي المبرورة الآيلة الى خير ملَّتهِ وقد اسعفهُ الكرسي الرسولي في مشروعاتهِ الخطيرة غاية جهدهِ حتَّى تمكَّن من اصلاح شؤون رعيَّتهِ وتلافي الاضرار اللاحقة بها من قبل اعدائها وجازاهُ الله بان رأى الايمان الكاثوليكيَّ عمَّ كلَّ السريان في حلب وامحت فيها آثار البدعة اليعقوبيَّة

ومن اقوى الوسائل التي ارشدتهُ اليها غيرتهُ الرسوليَّة لخير طائفتهِ انهُ جمع في دير الشرفة بعضًا من شبَّان طائفتهِ ازدانوا بالتقى والذكاء فسعى بتخريجهم بالآداب الكنسيَّة والعلوم الالهية ليرسلهم الى خرافهِ التي بقيت بلا رعاة. فصار بذلك ابًا لكهنة صالحين ورُسل غيورين أتوا مذ ذاك العهد الى ايامنا باثمار يانعة ازدانت بها حديقة الكنيسة. وعليهِ فقد احسنت مدرسة الشرفة اذ تقدَّمت كلَّ الطائفة في اكرام منشئها والمحسن اليها لمَّا اقامت ذكرًا لهُ هذه الحفلة البهيجة التي صدَّرنا مقالتنا بوصفها

وكانت وفاة المثلَّث الرحمات البطريرك اغناطيوس الاول في ١٦ ايلول من سنة ١٨٠٠ رقد بالرب بالهدوّ والسلام مردّدًا قول الرسول(٢ تيموتاوس ٤: ٧و٨) :« جاهدتُ الجهاد الجميل وأتممتُ شوطي وحفظت الايمان وانَّما يبقى اكليل العدل الذي يجزيني بهِ الربُّ الديان العادل ». اسكنهُ الله فسيح جنَّاتهِ ونفعنا ببركة صلواتهِ آمين (١

الموارنة في ليڤرنو

من رسالة للقس الملفان بولس النسطاويّ اللبناني

«... خرجنا من رومية في ٢٠ اب الماضي مع الوفد الماروني الذي تشرَّف بمواجهة امام الاحبار وقصدنا مدينة ليڤرنو لزيارة الموارنة القاطنين فيها فبلغنا اليها الساعة ٢ بعد نصف النهار فوجدنا على المحطَّة حضرة الأبَاتي(٢ الجليل يوحنَّا انطين الدرعوني الراهب

١) وقد بارك الله عائلة البطريرك اغناطيوس ميخائيل جروة وهي لا تزال الى اليوم معروفة في حلب ومصر والبندقية بشدَّة تقواها وقد نالت من كرم الحبر الاعظم لقب مركيز جزاء مساعيها المشكورة في سبيل الدين وخير الملَّة. ومنها كان البطريرك اغناطيوس الرابع بطرس جروه ابن اخي صاحب الترجمة الذي جلس على كرسي البطريركية من سنة ١٨٢٠ الى ١٨٥١ ولهُ اعمال جليلة تدلُّ على سموّ فضلهِ. ومن افرادها والدة دولتلو سليم باشا ملحمه في الاستانة وسعادة الوجيه الفاضل المركيز ميخائيل دي جروه نزيل البندقية وابن اخي البطريرك بطرس جروه

٢) الأبَاتي عند الغربيين كالخورفسقوفوس عند الشرقيين

الحلبي الجزيل الاحترام وبرفقتهِ عدّة اشخاص من اصحابهِ فبعد السلام ركبنا العربيات وذهبنا الى المحل الذي ابتناهُ الاب المشار اليه فاقتبلنا بكل حفاوة وبهجة واكرام

امَّا مدينة ليڤرنو فهي على سِيف البحر المتوسط قديمة العهد وقد لجأ اليها مدَّةً الامير فخر الدين المعني كما روى العلامة الدويهي في تاريخهِ وقد سكنها ايضاً مدَّةً المرحوم يوسف بك كرم وكثيرون يتذكرونهُ الى اليوم ويذكرون اعمالهِ التقويَّة فانهُ كان يلازم الكنيسة بالصلوات والعبادة وكان كل يوم يتقدَّم من مائدة الخلاص. وللاب يوحنا انطين كرَّاسةٌ ألفها وطبعها بالتليانيَّة هنا على نفقتهِ ذكر فيها اعمالهُ الحميدة وترجمة حياتهِ ولولا ضيق الوقت لكنَّا ذكرنا بعض قطع منها

وقد اتى هذه المدينة الاباتي يوحنا انطين المذكور منذ نحو احدى وعشرين سنة ولم يكن للطائفة المارونيَّة من محلّ ولا كنيسة خاصَّة الَّا مذبح في احدى الكنائس مرتب عليهِ كل يوم قدَّاس من المرحوم نقولا فرنجي منذ اكثر من قرن. وكان قبلهُ القس جراسيموس بشاره (اتونسياتا) الراهب الحلبي سنة ١٧٣٢ ثمَّ خلفهُ القس اظون يونان الراهب الحلبي سنة ١٧٦٩ ثمَّ الاب توما دياب الراهب الحلبي سنة ١٨٠٧. ثمَّ الطيب الذكر المطران نقولا مراد سنة ١٨٢٩. ثم الاب يوسف حبيشي سنة ١٨٣٧. ثمَّ الخوري عبد الله مسابكي سنة ١٨٥٢. وقد رقد بالرب سنة ١٨٨٠. وكانوا يقدّسون على هذا المذبح ولكنهم كل هذه المدة لم يعتنوا بتأسيس محلّ خاص للطائفة

امَّا الاباتي يوحنَّا فانهُ لم يألُ جهداً منذ سنة ١٨٨٠ من الاهتمام في انشاء محلّ حتى وفَّقهُ الله الى شراء معبد قديم على الجانب الشرقي من البلد في ضمن السور وقطعة ارض بجانبهِ فيها قلايتان صغيرتان واخذ من ذاك الحين يهتمّ بهذا المحل الى ان تيسَّر لهُ ان يهدم كل القديم خلا المعبد وبنى مكانهُ محلًّا في غاية اللياقة وتَمَّم المعبد وزخرفهُ ثمَّ أثثهُ والبيت الجديد باحسن الرياش وبنى قبَّة جميلة فوق الكنيسة وعلق عليها اربعة اجراس مختلفة الوزن ذات اصوات رخيمة للغاية. فصار بهمة هذا الاب الغيور النشيط بيت ومعبد للرهبانية وقد مكَّنهُ الله ايضاً من الحصول على قرار قانوني عُرف بهِ هذا المعبد بصفة كنيسة رعائيَّة للطائفة المارونيَّة بحيث يستطيع الماروني من سكَّان ليڤرنو او الذين يدخلونها باي نوع كان ان يقضوا واجباتهم الروحيَّة فيها. وقد عرفتها الحكومة المحليَّة بهذه الصفة واقرَّتها وعيَّنت لها راتباً بنسبة كنائس الرعة هنا.

والذي ساعد الاباتي الموما اليه على نجاح بهذه الاعمال خاصّة هو حسن سلوكه وحصوله على وظيفة خوري المستشفى العسكري هنا منذ عشرين سنة وهو محبوب ومعتبر لدى الحكومة لأنهُ ادّى خدمات جليلة لهذا المستشفى بغيرة مسيحيّة وهمّة لا تعرف الملل ولم يتأخر عن وظيفتهِ حتّى ولا في أيام الوباء والضيقات أيّة كانت وقد ارادت الحكومة ان تنعم عليهِ بوسام فلم يقبل احتشاماً لأنهُ لا يناسب حالتهُ الكهنوتية

وهنا في ليڤرنو يوجد عائلة مارونيّة كريمة الاصل شريفة غنيّة بالمال والاملاك وخاصّةً بالمبادئ الدينيّة الصحيحة التي اشتهروا بها لدى الخاص والعام ألا وهي أُسرة كوبّا الحليّة المارونيّة الشهيرة المعروفة هنا بالمركيز دي غنطوس كوبّا فهذه قد بلّغتها اسباب الاتجار من حلب الى الهند فالى مدينة ليڤرنو مقاماً عالياً بثروة كبيرة حافظت عليها بل زادتها واوسعتها كثيراً حتى صارت تُعدّ من اكبر اغنياء ايطالية واوجه اشرافها وقد اتصلت بواسطة الزواج باشراف ايطالية العظماء ولم تزل مع ذلك محافظة على جنسيّتها المارونيّة والعثمانيّة تمام المحافظة ولها التفات كبير الى الطائفة المارونيّة وقد امدّتها في ظروف شتّى بمساعدات واحسانات كثيرة عن كرم وتقوى حتى ان كبيرها الحالي سعادة المركيز نصري دي غنطوس كوبّا قد ساعد مدرستنا المارونية برومة بمبلغ عشرة آلاف فرنك على يد غبطة السيد المفضال بطريركنا الحالي الكلي الطوبى اذ كان في اوربّة يسعى بتأسيس هذه المدرسة كما يعلم الجميع

وقد قام من هذه العائلة الكريمة مطران على مدينة ليڤرنو نفسها على الطقس اللاتيني وقد انجح هذا الكرسيّ من مالهِ الخاصّ انجاحاً بليغاً يذكرهُ الكلّ بالثناء فمن ذلك المدرسة الاكليريكية الرعائيّة التي انشأها وجهزها وكذلك تأسّست بأيامهِ خمس كنائس تُعدّ من اجمل كنائس المدينة غير انهُ ما مكث على هذا الكرسي الاسقفي الّا سبع سنوات فقط وقد توفي برائحة القداسة في سنة ١٨٤٠

وهذا البيت الشريف مؤلف الان من الشيخ الجليل القدر المتصف بالعقل والدراية والفطنة والصدق والتقوى المركيز نصري المشار اليه وزوجتهُ الست البارونيّة يوسفيّة دي سيركاردي ولم يرزق بنين . ثمّ من ولدي اخيهِ المرحوم يوسف وهما المركيز الفونس الذي حاز على ألقاب شريفة من لدن قداسة الحبر الاعظم ايضاً وزوجتهُ السيدة ارتاستا بنت الدوك دي جيوڤي ودي ماتّاي ودي كانونيشي (وقد انحصرت في هذا البيت كل

هذه العيال المنقرضة بوجه الارث وهي من اعين اشراف ايطالية) . ومن المركيز ريشار اخي القونس المشار اليهِ ولم يزل عزبًا على اهبة الزواج . ومن السيدات كالستا ولويزا وهيلانة والدة القونس وريشار وقد ضمهم جميعًا الحب المسيحي الحقيقي حتى انبعثت رائحة القداسة من هذا البيت وهذه العائلة مع الشرف والغناء المقرون بعمل الخير وهم الان في مصيفهم خارج ليڤرنو في ضيعة لهم يقال لها الكابرو

فركبنا العربات اليهم وبعد ان جزنا نحو الساعتين في بعض املاكهم الغنيَّة بكلّ صنف بلغنا الى دارهم العامرة وهي على هضبة وحولها الاشجار الملتفَّة الخضراء النضرة من كل جنس فرَّحوا بنا وسرُّوا بقدومنا ولاقونا الى خارج الدار بكل حفاوة واكرام فصدَّق الخُبر الخَبَر وزيادة . وبعد ان استرحنا وعُرضت المرطّبات اخذنا نتجاذب اطراف حديث الطف من النسيم ذكَّرنا قول الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات :

« فكانني حلب برقَّة طبعها »

اخذنا نخبرهم عن أحوال غبطة السيد البطريرك الذين يذكرون زياراته العديدة لهم بكل افتخار وثناء وعن المطارنة واعيان الطائفة وأحوالها من كل معنى وهم كلهم اذان صاغية كأننا نتحفهم بالبدَر او نقدّم لهم افخر الهدايا وكانوا يستعيدون كل حديث طيب يسمعونهُ من اخبار سياحتنا واعمال وفادتنا وما لاقينا من الكلام في المراكز العالية ومن الانعطاف لدى قداسة سيدنا الحبر الاعظم فكانوا ابهج الناس بذلك

ثم ازف وقت الغداء فدُعينا الى مائدة انيقة جمعت كل اجناس الرفاه وألوان الطعام والمشروب والحلويات الطيّبة من كل فاكهة زوجين فضلًا عن الاحاديث الرقيقة والحفاوات اللطيفة التي لا ننساها طول الحياة . وبعد النهاية خرجنا الى باحة القصر وجلسنا في جنَّة اريضة نتجاذب أطراف الحديث العائلي الى ان دنت الساعة الخامسة فاستأذنَّا وعدنا الى ليڤرنو صحبة الاباتي انطين وكلنا ألسنة تمدح وقلوب تدعو لهذه العائلة الكريمة بالعزّ والاقبال واسباب التوفيق

هذا وفي اليوم الثاني اي في ٢٢ الجاري جاء للسلام علينا في محلّ الاباتي يوحنَّا بعض مقدَّمي العساكر وجمهور كهنة البلد الذين اعتذرنا لهم عن الزيارة بضيق الوقت . وقد زارنا ايضًا جناب الهمام المسيو يوسف ارابن قنصل فرنسة هنا وهو الطف الناس وقد

عرض علينا رفده فيما نحتاج اليهِ فشكرنا لهُ ودعونا. ونحن هنا لم نَزُر سوى جنابهِ في دار القنصلاتو وحضرة الخوري يوسف شلهوب خوري طائفة الروم الملكيين في هذه المدينة. ثم ركبنا القطار الساعة ٩ مساء الى بيزة ثمَّ جنوة ثمَّ طورين ثمَّ مودان ميتمين باريس...»

شرح اسرار طفولية المسيح وصباهُ

للسيد الجليل المفضال جرمانوس معقد مطران اللاذقية

هذه نبذة ثانية نقتطفها من كتاب «رحلة الفيلسوف الروماني الباحث عن سيرة المسيح» الذي مرَّ ذكرهُ في المشرق (٣: ٦٨٥). وما يتضمَّنهُ هذا الفصل اسرار حياة الفادي في مدة الثلاثين سنة السابقة لكرازته قد وصفها سيادة المؤلف على طريقة المباحثة بين الفيلسوف الروماني الذي دعاهُ مرقس وبطرس هامة الرسل

قال الفيلسوف: قد انصرفت من لدنك مساء امس والقلب يفيض حبورًا ممَّا رويتهُ لي. فارغب اليك الآن ايها الاستاذ النزه الخُلق ان تروي لي اخبار طفوليَّة المسيح مبيِّنًا لي الامور التي كانت تميّزهُ عن سائر الاطفال والاحداث

قال بطرس: قد اخبرتك بكلّ ما هنالك. فرويت لك أنباء ميلادهِ وظهور الملائكة للرعاة وختانهِ وتقديمهِ للهيكل ومجيء المجوس وسجودهم لهُ وهربهِ الى مصر ورجوعهِ الى الناصرة فلم يبقَ الَّا خبرٌ واحد بهيج ارويهِ لك الآن بسرور فسمعك اليَّ

«وكان ابواهُ يذهبان الى اورشليم كلَّ سنةٍ في عيد الفصح (١. فلمَّا بلغ اثنتي عشرة سنة صعد الى اورشليم كعادة العيد (٢. ولمَّا تمَّت الايام (٣ عند رجوعهما بقي الصبي يسوع في اورشليم وابواهُ لا يعلمان. واذ كانا يظنَّان انهُ مع الرفقة سافرا مسيرة يوم وكانا يطلبانهِ عند الاقارب

---

١) كلّ اسرائيلي كان ملتزمًا بان يأتي اورشليم ثلاث مرار في السنة اي في عيد الفصح والعنصرة والمظالّ. ما عدا السقماء والشيوخ والاولاد والنساء. امَّا النساء فكان كثير منهنَّ يأتينَ اليها في عيد الفصح حبًا للعبادة فالانجيلي اقتصر هنا على ذكر الفصح لانَّ كلامهُ فيهِ

٢) بموجب التقليد القديم عند اليهود ان الغلام ينتقل في هذه السن من الفتوة الى الشبيبة فيصبح «ابن التوراة» كما كانوا يقولون اي ملتزمًا بجميع وصايا الناموس التي منها زيارة بيت المقدس. ولذلك لمَّا بلغ يسوع هذه السن جاء اورشليم قضاءً لتلك السنَّة (طالع خروج ٢٣ و ٣٤ وتث ١٦) وقد كان مأذونًا لمن يريد ان يقضي منها ثلاثةً فقط في اورشليم ولا يفترض ان يوسف ومريم اكتفيا بها بل قضيا ايام العيد تامة

٣) اي ايام الفصح وهي ثمانية

والمعارف فلم يجداهُ فرجعا الى اورشليم يطلبانهِ. وبعد ثلاثة ايام (١ وجداهُ في الهيكل جالسًا فيما بين المعلمين يسمعهم ويسألهم (٢. وكان جميع الذين يسمعونهُ مدهوشين من فهمهِ واجوبتهِ. فلمّا نظراهُ بُهتا فقالت لهُ امهُ: يا ابني لِمَ صنعت بنا هكذا. ها انَّ اباك وانا كنَّا نطلبك متوجعين. فقال لهما لماذا تطلبانني ألم تعلما انهُ ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي. فلم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما (٣. ثمَّ نزل معهما وأتى الناصرة وكان خاضعًا لهما. وكانت امهُ تحفظ ذلك الكلام كلهُ في قلبها. وكان يسوع يتقدَّم في الحكمة والسنّ والنعمة عند الله والناس » (لوقا ٢ : ٤١–٥٢)

— ما معنى قولك « وكان يسوع يتقدَّم في الحكمة والسنّ والنعمة عند الله والناس »

— منذ حُبل بيسوع وُجد فيهِ ملء الحكمة والقداسة والعلم والنعمة. فقولنا « يتقدَّم » يُراد بهِ التقدم الخارجي لا غير اي انَّ حكمتهُ ونعمتهُ الساميتين كانتا تظهران للناس تدريجًا على حسب تقدّمهِ في السنّ. فانَّهُ لذكرهِ السجود اراد ان يكون حدثًا لا في الظاهر فقط بل في الحقيقة ايضًا بحيث انَّ من ينظر اليهِ لا يرى فيهِ ما يميّزهُ عن سائر الاطفال والاحداث الَّا بكونهِ خاليًا من خفَّة الصبي وطيشهِ ذا حشمة وادب ورصانة وحكمة تناسب سنَّهُ

— هل كان يبكي وهو طفل ؟

---

١) اي بعد ثلاثة ايَّام لسفرهما من اورشليم ففي اليوم الاول وصلا الى محطَّة البيرة وفي الثاني عادا منها الى اورشليم وفي الثالث وجداهُ في الهيكل

٢) كان في جملة البنايات الملحقة بالهيكل بعض ردهات يجلس في صدرها الكتبة ويلتئم فيها كثيرون من الشعب لاستماع شرح الناموس والاستفهام عمَّا يعتاص عليهم ادراكهُ. فكان الكتبة تارةً يشرحون وطورًا يجيبون عمَّا يسألون عنهُ من الحضور. فقولهُ « جالسًا بين المعلمين » لا يراد بهِ انهُ كان في صفّهم فذلك لا يحتملهُ المقام بتَّةً وانما كان بازائهم في صفّ الطلبة من العوام يسمع شروح العلماء ويلقي عليهم بعض الاسئلة.

٣) ربما استغرب المطالع قول الانجيلي هذا كما استغربهُ فريق من المفسرين متعجبين من كون مريم ويوسف لم يفهما كلام يسوع. وليس في ذلك شيء مستغرب فان حكمة الله لم ترَ ان تكاشف منذ ذاك الوقت يوسف ومريم بكل ما سيعملهُ يسوع لخلاص الناس واتمام مهمَّتهِ الالهيَّة. فقد كانا يعلمان انهُ اتى لخلاص البشر ولكنهما لم يكونا يعلمان بالتفصيل جميع ما اعتزم على صنعهِ لهذه الغاية. ومع ذلك لم يفتهما معنى كلامهِ تمامًا لانهما كانا يعلمان سرّ تجسدهِ وانهُ يريد ان يقوم بخلاص الناس الذي هو ارادة ابيهِ الازلي. ولكن الذي اشكل عليهما هنا هو العلاقة التي بين اتمام مهمَّتهِ وتخلُّفهِ عنهما فهل كان ذلك منهُ لانهُ نوى ان يظهر نفسهُ للناس ام لسببٍ آخر. وما هو هذا السبب. فذلك لم يستطيعا ادراكهُ. ولهذا قيل انهما لم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما

— أجل ولكن ليس كسائر الاطفال الذين يكونون مهتاجين بالغضب او الحسد فيعربدون في حضون امهاتهم ويضربونهنَّ باذرعهم. بل كان يبكي لألمٍ في جسدهِ او حزنٍ في نفسهِ مع تنزّهه عن الانفعالات النفسانية الموجودة فينا جميعاً. كما بكى من شدَّة الوجع عند ختانته. وكما بكى وهو رجل على اورشليم وعند قبر لعازر كما سأبيّنهُ لك في حينهِ. ولم يكن يبكي اضطرارًا نظيرنا. بل كان يبكي بمطلق اختيارهِ ورضاهُ. واذ انهُ كان يشعر كسائر الاطفال بالبرد والحرّ والجوع والتعب فكان مثلهم يُظهر تألمهُ بالبكاء والصراخ

— أكان ينام ايضاً مثلهم؟

— نعم ولكن لم يكن مضطرًا الى النوم مثلنا بل كان النعاس يأتيهِ برضاهُ (١. لانهُ شاء ان يشاركنا في خاصيَّاتنا العمومية فمن كان يراهُ نائماً في مهدهِ لا يرى في نومهِ ما يميّزهُ عن رقاد سائر الاطفال. على انَّ نومهُ لم يكن يمنع استعمال قواهُ العقليَّة بل كانت تستمر كما في اليقظة تماماً بخلاف نومنا الذي يمتنع معهُ استعمال القوى العقلية ولذلك كان يسوع في نومهِ يواصل صلاتهُ للآب الازلي وتكريمهُ اياهُ كما في يقظتهِ على حسب ما كُتب عنهُ: انا نائم وقلبي مستيقظ (٢. وما قلتهُ لك عن نومهِ يُقال عن شعورهِ بالجوع ايضاً اي انهُ كان يشعر بهِ بارادتهِ ورضاهُ ليس غير (٣

— هل كان عاجزًا عن المشي كسائر الاطفال؟

---

١) يعلمنا السفر الكريم (عبر ٤: ١٥) «انَّ المسيح مُجرَّب في كلّ شيء. مثلنا ما خلا الخطيئة» وانهُ (عبر ٢: ١٦) «اتخذ نسل ابراهيم فمن ثمَّ كان ينبغي ان يكون شبيهاً باخوتهِ في كلّ شيء» فينتج من ذلك انَّ المسيح اخذ الطبيعة البشريَّة بما فيها من النقائص الجنسية كالجوع والعطش والنوم والوجع والموت فكان يشعر بكل ذلك من تلقاء طبيعتهِ الشبيهة بطبيعتنا. امَّا النقائص الشخصية التي تطرأ على افراد الجنس البشري كالامراض وغيرها فلم يقبلها ابن الله في طبيعتهِ البشريَّة وكذلك النقائص العمومية التي هي ثمرة الخطيئة كالشهوة والجهل لانَّ ذلك لا يليق بطبيعة متحدة جوهريًا باقنوم ابن الله. وزد على ما تقدَّم انَّ النقائص الجنسية نفسها لم تحلّ بالمسيح اضطرارًا كما تصيب بقيَّة البشر بل اتخذها طوعاً كطبيب شفوق ليشفي فينا عواقبها السيئة. وكان بوسع السيد المسيح ان يكفّ عنهُ مفاعيلها بقدرتهِ السامية او يدبّرها فيهِ كيف يشاء. وكانت مع ذلك طبيعتهُ الالهية مترّهة عن هذه الشوائب الطبيعية لم ينلها شيء من نقصها واذاها (المشرق)

٢) نشيد ٥: ٥ ٣) قل عن الجوع ما قلناهُ عن النوم اعني انَّ رأي اللاهوتيين المرجَّح انَّ المسيح شعر بهِ طبيعياً ولو اراد لمنعهُ عن نفسهِ بقدرتهِ الالهيَّة (المشرق)

— كلّا بل كان قادرًا عليهِ ولكنَّهُ لم يستخدم قدرتهُ هذه. لانَّ جودهُ ورسالتهُ لم تطلبا ذلك

— هل كان يتكلَّم وهو طفلٌ رضيع ؟

— كلّا وذلك للسبب عينهِ اي لانَّ رسالتهُ الالهيـة لم تستوجب تكلمهُ. والذي شارك اخوتهُ في كل شيء. ما عدا الخطيئة (١ قد شاركهم ايضًا وهو طفل بعدم التكلّم وعدم المشي .

— هل كان يلعب كسائر الاولاد ؟

— ما سمعت احدًا رآهُ لاعبًا قطّ فلا اظنّ انَّهُ شارك الصبية في هذا الامر

— هل كان ذا طلعةٍ جميلة ؟

— كان اجمـل من جميع بني البشر (٢. لانَّهُ اعظم اعمال الروح القدس « وقد وجب ان يكون فيهِ كل جمال يمكن وجودهُ في الانسان » (٣

— ما احسن هذا الشرح ايهـا الاستاذ المنطيق. فاسألك ان تكشف لي عمَّا غُمَّ عليَّ من خبر تخلُّفهِ عن ابويه

— اذكرهُ لي

— كيف يصحّ ان يبقى يسوع الصبي في اورشليم وهمـا لا يعلمان مع شدَّة عنايتهما بهِ ؟

— من تدبَّر احوال القوافل عند خروجها من المدينـة وعرف كيف ان المسافرين يسيرون رسلةً رسلةً بعضهم في اثر بعض فهؤلاء يتقدَّمون واولئـك يتأخرون وكيف ان الفتيان يسيرون عادةً في مقدَّم القافلة بما فيهم من النشاط. هان عليهِ التوفيق بين الامرين فقد سارت قافلة الناصرة وسار معها يوسف ومريم. ولمَّا لم يريا يسوع بالقرب منهما عند مسيرهما لم يخالجهما ريبٌ في انَّهُ تقدَّمهما سائرًا مع الرفقة من الاهل او المعارف او مع الفتيان الذين يسيرون سراعًا الى الامام (٤. ولهـذا لم يأخذهما في شأنهِ بلبال غير انهما

---

١) عب ٤:١٥ ٢) المزمور ٤٤ ٣) قالهُ شمس المدارس ٤) والرأي في ذلك عند بعض المفسّرين ان مريم العذراء عليها السلام كانت تسير مع النساء كما هي عادة الشرقيين والقديس يوسف كان سائرًا مع الرجال. وكان كلٌّ منهما يظنّ ان الطفل يسوع سائرًا مع الآخر لانَّهُ كان يجوز للاحداث ان يسيروا مع النساء او مع الرجال على حدٍّ سوى (المشرق)

لمّا بلغا المحطة (١ التي تبيت فيها القافلة عادةً وفيها يفتقد الاهل بعضهم بعضاً فيلتئمون معاً للطعام والمبيت جعلا يطلبانهِ ويفتشان عنهُ بين الاقارب والمعارف لاعتقادهما انهُ كان سائرًا معهم

— قد اتّضح ما كان غامضاً. ولكن قد أُشكل عليَّ ايضاً قول مريم «ها ان اباك وانا كنّا نطلبك متوجّعَين» فأنّهُ يدلّ على خوفهما عليهِ ان يضلّ او يقع في محذور. وكيف يتفق خوفهما هذا مع معرفتهما انهُ إلهٌ. ثم ما هي غاية تخلّفهِ عنهما ومن كان يقوتهُ في الثلاثة الايام وماذا كان يعمل فيها وما كان مدار مباحثتهِ للعلماء ؟

— أنهما كانا يعرفان انهُ إلهٌ قد تجسَّد لاجل خلاص البشر وذلك لا ريب فيهِ وكفى بقول الملاك لأمهِ «وابن العلي يدعى» ثبتاً لذلك ولكنّهما لم يكونا عارفَين بكل ما سيفعلهُ لخلاصهم. فالسبب في توجعهما اذًا ما جال في خاطرهما من انهُ قد عزم على مفارقتهما والبقاء في اورشليم للاخذ فيما يقصد اليهِ او ما يماثل ذلك من الخواطر والتصوُّرات

امّا الغاية التي قصدها يسوع من تخلّفهِ هذا فهي ان يبثّ شيئًا من اشعّة حكمتهِ السامية في فرصة انتقالهِ من الصِبى الى الشبيبة توطئةً لما سيفعلهُ من ذي قبل. وممّا يتبادر الى الذهن ان محور اسئلتهِ للعلماء كان نبوءات الانبياء عن المسيح وتحديدهم زمن مجيئهِ يستدعي بذلك انتباههم الى حلول اجل ظهورهِ تمهيدًا لقبولهم اياهُ عندما يُظهر نفسهُ لهم معلّماً وربّما بالآيات والخوارق العظيمة. وربّما انهُ خاطبهم في غير ذلك ايضاً من الشؤون الدينية

وامر حصولهِ على القوت ليس بالعسير. فلا غروَ انّ الذين كانوا يسمعونهُ مدهوشين من فهمهِ واجوبتهِ كانوا يتسابقون الى دعوتهِ للاكل معهم (٢. وقد كان عملهُ في الايام الثلاثة مقصورًا على الصلاة ومباحثةِ العلماء

---

١) هي بلدة بئيروت القديمة المذكورة في (سفر الملوك ٣ ف ٤) وتدعى الآن البيرة. في هذه البلدة افتقدوا يسوع كما هو معروف بالتقليد. وقد بنى فيها المسيحيون الاولون كنيسةً تذكارًا لذلك ثم جدَّد الصليبيون بناءها ولم تزل رسومها بادية الى الان

٢) ولعلَّ الربَّ كان يقتات مدَّة هذه الايام الثلاثة بصدقات المحسنين او بما كان يوزّعهُ سدَنة الهيكل على اهل الحاجات (المشرق)

— بقي ان اسألك ايها الشيخ الشاهد اللبّ عن امر قد اكبرتهُ في خطاب مريم ليسوع وهو قولها لهُ " يا ابني لم صنعت بنا هكذا . . . » فاني اراهُ مزدّناً بتوبيخ وهو ممّا لا يسمح به حال الامّ والابن معاً . ثمّ اما يُقال مثل ذلك عن جوابهِ لها

— معاذ الله ان يكون كلامها ذاك توبيخاً . فهو كلام أمّ فائقة المدارك والحبّ الوالدي نطقت بهِ بدالة وتواضع وحبّ بالغ مستفهمة عن سبب تخلّفه ومبديةً ما قاستهُ من اللهف والعناء في السؤال عنهُ والاهتداء اليهِ . فضلاً عن انها لم تخاطبهُ بذلك امام الناس بل بمعزل عنهم يدلّنا على ذلك ما عُرفت بهِ من الفطنة والرزانة

امّا جواب يسوع لها فليس فيهِ ادنى توبيخ بل فيهِ بيان الواقع واظهار السبب لتخلّفهِ عنهما بكلام رصين نبّه بهِ افكارهما الى صفتهِ الخصوصية التي هي كونهُ المخلّص والتي لاجلها يجب ان لا يخضع لاحدٍ الّا لابيهِ الازليّ وان يفترق عنهما احياناً ويفعل ما لا يعلمان

— ألم تقف على غير هذا الحادث ؟

— كلّا فانّهُ تبارك اسمهُ لم يشاء ان يكون في حياتهِ الخفيّة خوارق

— ما المراد بحياتهِ الخفيّة ؟

— الثلاثون سنة التي مرّت منذ ميلادهِ

— كيف قضاها ؟

— اولاً بمزاولة اعمال الصلاح ولاسيما الصلاة والطاعة التامّة لمريم ويوسف في كل ما يطلبان اليهِ عملهُ بحيث كانت طاعتهُ لهما محور اعمالهِ الخارجيّة ورغباتهِ القلبيّة وذلك بالحقيقة من اعجب افعال تواضعهِ السامي ومذهلات حياتهِ المقدّسة وهو ولا شكّ دليل على سموّ منزلة فضيلة الطاعة للآباء وذوي السلطات . ثانياً بالشغل اليدويّ فانّ اهل الناصرة لمّا سمعوا عند شروعهِ في الكرازة بعض تعاليمهِ السمويّة قالوا : « أليس هذا هو النجار ابن مريم (١) » وهو دليل على اعتكافهِ على التجارة . فكان يزاولها مع يوسف بجدّ وعناء ليكسب قوت يومهِ بتلك الصناعة الشاقّة التي كانت تورثهُ عرق الجبين وكلال اليدين . وقد كرّم وقدّس بعملهِ هذا الصنائع والحِرَف التي يستنكف منها جميع الامم ميلاً الى التجارة ورغبةً في المراتب والغنى الجالب البوار . فبالصلاة والشغل

١) مرقس ٦ : ٣

والطاعة لابويهِ قد قضى سني حياتهِ الخفيَّة. فلم يكن الناس يعرفون من امرهِ شيئًا الَّا كونهُ ابن النجار لانَّ صناعتهُ التي لا تعطي لصاحبها منزلةً وشهرةً قد حجبت منزلتهُ السامية عن اعين ناظرٍ به ولاسيَّما لانَّ اسرتهُ لم يكن لها وجاهة او مقام رفيع او ثروة طائلة. وبحياتهِ الخفيَّة قد علّمنا تبارك اسمهُ كيف يجب ان نقضي حياتنا في هذه الدنيا اي بالصلاة والشغل والطاعة للرؤساء. فبهذه الفضائل الثلاث تقوم سعادتنا وراحتنا. فبالشغل وعمل اليد ينجو من شرورٍ كثيرة تصدر عن البطالة والاضطجاع على مقاعد الرغد والرفاه ونحفظ صحَّة اجسادنا وصفاء عقولنا. وبالصلاة نستنزل نِعَم الله ومعونتهُ على قهر اهوائنا وبها نقوم بواجب تسبيحهِ تعالى وشكرهِ وتكريمهِ ورفع قلوبنا اليهِ. وبالطاعة نعترف بسلطانهِ المطلق علينا بخضوعنا للآباء والرؤساء ممثّليهِ على الارض ونقدّم لهُ ارادتنا التي هي افضل شيء لدينا ذبيحةً تسمو جميع الذبائح

غير انَّ يوسف لم يَعِش مع يسوع مدَّة الثلاثين سنة بل فارق الدنيا قبل نهايتها. فبقي يسوع وحدهُ في دكَّان النجارة يقوم من تعب يديهِ بأَوَد والدتهِ المكرَّمة. ويُشاهد الى الآن في تلك الناحية بعض الادوات التي صنعتها يداهُ المقدَّستان كالمحراث والنير (١

فليتعزَّ اذن ايها الفيلسوف الشريف الملكة الصنَّاع والمحترفون فان المسيح الرب هو زعيمهم وزميلهم. وكفاهم فخرًا انهم لخطَّتهِ تابعون وبهِ مقتدون

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل اده اليسوعي

ربَّ قارئ يأخذ منهُ العجب مأخذهُ اذا سألتهُ عن حقيقة الوزن في الشعر العربي.

---

١) هذا قول القديس يوستينس الفيلسوف في محاورتهِ تريفن. فقد كان باقيًا الى ايامهِ شيء مما صنعتهُ يدا الخلاص كالمحراث والنير. وكان مولد هذا القديس في نابلس سنة ١٠٣ للمسيح وقضى شهيدًا نحو سنة ١٦٨

* راجع الفصل الخامس في الايقاع ونسب ادوارهِ من الرسالة الشرفيَّة في النسب التأليفية لصفيّ الدين عبد المؤمن البغدادي. نقلها الى الافرنسيَّة البارون كارا دي ڤو (Cara de Vaux) في المجلة الاسيويَّة (J. A. 1891²) — راجع ايضًا رسالة الفارابي في علم الادوار نشر معظمها وترجمها الى اللاتينيَّة العلَّامة كوسغارتن (Kosegarten في مقدَّمة ترجمة الاغاني — وكذلك راجع الرسالة الرابعة في علم الموسيقى من كتاب اخوان الصفا طبعة الهند (٢ : ٧٤)

وكأني بهِ يهتف قائلًا: اما عنـدك الكتب الضخمة والمؤلفات المطوَّلة التي حسرت القناع عن غامض اسرار علم العروض وهي لم تُبقِ للسلف حظًا في اكتشاف شيء. منها

لستُ اعزّك الله ممّن ينكر فضل الاقدمين لاسيما الخليل امام العروضيين وواضع اصول فنّ النظم. واعرف انهم عدّدوا اوزان الشعر وذكروا ما يطرأ عليهـا من التغيير ووسموها باسماء اصطلحوا عليهـا يربي عددها على المائة والعشرين. ومع كل ذلك لا اراني جائرًا في حقّهم ان قلت انهم اطالوا ولم يستوفوا. بسطوا القول في علم العروض عدّدوا البحور بيّنوا الاعاريض والضروب اسهبوا في مـا يُستحسن او يُستهجن من الزحافات والعلل. أجل ولكن لم يوقفوا الطالب على اساس ذلك النظم وكنههِ لم يكشفوا القناع عن سبب استقباحهم بعض التغييرات واستحسانهم غيرها. فيبقى الدارس اشبه بضرير يُهدى بيدهِ الى حيث قصد ولم يعرف كيف بلغ المقصد ولم يتبيَّن الطريق او كدارس الرياضيَّات ينجز العمليَّات كما لُقّنها دون ان يدرك اسبابهـا. وان اعترض علينا احد بقولهِ انّ هذه المسائل لا تهمّ معرفتها عموم الطلبة اجبنا ان الطلبة ربّما اكتفوا من العلم بالظاهر والعلم الصحيح قائم بمعرفة حقائق الامور

وهذا ما حدانا الى ان نبحث هنا عن الوزن في الشعر العربي او بالحريّ عن الايقاع (rythme) فنعرفهُ باوضح ما استطعنا من الكلام. وتيسيرًا لادراك المطلوب رأينـا ان نصدّر مقالنا ببعض الامثلة قبل ذكر الحدّ المنطقي

١

بينا انت منكبّ على المطالعـة في حجرتك اذ تسمع قومًا يمرّون في الزقاق ويقرعون بنعـالهم رصيف الحجارة دون انتظام. أفترى يحصل في نفسك من جرَّاء مشيتهم وصوت أقدامهم بعض التأثير ؟ كلاَّ . وان حصـل فليس ذلك الّا الانزعاج والاضطراب لاسيما ان اشتدَّ خَفق نعالهم واختلط

ثمَّ تهدأ هذه الاصوات المنكرة ويعقبها بعد قليل فرقة من الجنـد يسيرون سيرًا منتظمًا فتحيك هذه المشية في صدرك ولعلّها تضرم في قلبـك نار الحماسة وتبعث في نفسك شعائر النخوة والحميَّة

فما سبب هذا الاختلاف ؟ أنّى هذه التأثيرات المتباينـة ؟ لانتظام الخطوات في الحالة الثانية ولعدمهِ في الاولى. — نعم الجواب ولكن بمَ يقوم هذا الانتظام ؟ ما الذي

يجعل مشية الجندي منتظمة بخلاف مشية غيره من المشاة ؟ الفرق بين كلا السائرين انّ الجندي يخطو خطواته في مدّات متساوية اي انّ الزمن الفاصل بين رفع الرجل ووضعها على قارعة الطريق لا يختلف حتى انك لو اردت ان تتّخذهُ قياساً لمعرفة مدّة المشي لفعلت. امّا الماشي الآخر فسأن عندهُ أتكون خطواتهُ متساوية الزمن او لا فيقربها مرّة ويبعدها أُخرى يُسرع طوراً وطوراً يُبطئ. ولهذا نقول انّ مشية الجندي موزونة او انها ذات « ايقاع ». وكذلك الرّقص فانّهُ لا يتميّز عن المشي الّا بنظام الخطوات على اختلافها وثبات مقادير ازمنتها

هذا مثل آخر. ادفع لوليدٍ طبلًا وارقبهُ كيف يقرعهُ واصغِ الى الاصوات التي يخرجها منهُ بيدهِ النحيفة. أيلذّك هــذا الدقّ لا وعمرك. وان علا الدويّ وكان المكان ضيقاً اضطرّك الى سدّ الآذان بل الى الفرار. فانزع الآن من يدي الغرّ طبلهُ وادفعهُ الى ضاربٍ حاذق. فما قولك في تأثير ضربهِ في نفسك. فكأني بالطرب يسكرها بنشوتهِ ولعلّهُ يستهزّك فتقوم وترقص. فما الداعي لهذين الانفعالين ؟ أيكون السبب كثرة قرع الطبل او شدّة صوتهِ او حدّتهُ ؟ هيهات. وانّما السبب هو انّ الطفل لا يراعي الازمنة. فتكون ضرباتهُ سريعة او بطيئة دون نظام ولا موازنة. امّا الدقّاق الماهر فهــذا النظام هو قصارى بغيتهِ يضرب في ازمنة معلومة ضربات محدودة لا يقع فيها ادنى خلل حتى يصبح ضربهُ نقصاً ويصير لهُ اسوأ تأثير في نفسك ان كنت سليم الذوق. وعليهِ فنقول انّ ضَرب الدقاق موزون او انّهُ ذو ايقاع

وايضاً ما الفرق حفظك الله بين الكلام المنثور والمنظوم ؟ تقول انّ الكلام المنظوم يأتي مطابقاً لتفاعيل محدودة فيكون موزوناً بعكس الثاني الذي لا ضابط لترتيب حركاتهِ وسكناتهِ. احسنتَ ولكن انّى لهذه مطابقة التفاعيل ان تجعل الكلام موزوناً ؟ كيف وجدت ان تكرار لفظة « مفاعيلن » ثناء او ثلاث او رباع يشعر بوزن ؟ ألا ترى ان مرجع ذلك الى الزمن ايضاً كما في الامثلة السابقة. وايّ زمن ؟ زمن لفظ الحروف المتحركة وزمن السكوت على الحروف الساكنة. فان كانت هذه الازمنة متشابهة متناسبة كان الكلام موزوناً ذا ايقاع والّا فلا

وهاك مثلًا ثالثاً نأخذهُ عن فنّ الغنــاء. لا يخفاك ما بين الشعر والغناء من

التناسب (١ وذلك ليس من قبل الغناء. لانَّ في انشاد البيت لا يُعتدّ بجدّة الصوت او ثقله ولكن من قبيل الوزن. لان للنغمة مدّة او زماناً « تشغله » (٢ اي تدوم فيه. وهذا الزمن يختلف فيكون تارةً قصير المدّة وتارةً طويلها وفي كل ذلك درجات شتّى. وانما يكون الغناء موزوناً اذا كانت ازمنة النغم محدودة في أدوار متساوية كما في الشعر. ولبيان هذا الوزن « ينقر » اهل الطرب على آلة في وقت الغناء كي يوفي المغني الانغام حقّها من الطول او القصر. وهذه هي فائدة النقّارات في الغناء. والفرنج يدلون على الوزن باشارة اليد او العصا او بآلة يدعونها قياس الغناء (métronome)

فهذه الامثال من شأنها ان تبيّن جليًا انَّ الايقاع مرجعهُ الى الوزن وانَّ للوزن ثلاثة اصول: (الاول) المدّة. وهي بذاتها غير محدودة تحتاج الى ما يعيّنها من اشارة او قرع آلة. والاصل (الثاني) هو القرع المذكور فيكون في المشي والرقص وضرب الارض بالرجل. وفي دقّ الطبول والنقر باليد. وفي الكلام قرع اللسان في الفم عند النطق بالحرف وفي الغناء اوّل النغمة. ويصح في كلّ هذه الاحوال ان يدعى نقرة على شبه ايقاع الغناء.

وقد عرّف الفارابي النقرات حيث قال: « النقرات احد القرعات التي تخيّل غير منقسمة » وقال ايضاً: « بدايات النغم (او صوتٍ آخر) التي تقع على أطراف الازمنة المسمّاة إيقاعات (وقفات) وتحدّدها في السامع (هي) النقرات » فيظهر من ثمَّ انَّ النقرة « تخيّل غير منقسمة » لا زمن لها فهي في الزمن كالنقطة في المكان عند اصحاب الهندسة. امّا الاصل (الثالث) فهو تساوي الازمنة في الادوار اي انك اذا اتفقت على عددٍ من النقرات وعيّنت الازمنة التي تتخللها فعليك ان تُعيد هذا المجموع كما هو بلا تشويش في ترتيب الازمنة ولا زيادة ولا نقصان في مدّاتها. واذا قسمت الزمن الى اجزاء محدودة ولم تخيّل للسامع ادواراً كما قلنا فيكون النقر موزوناً نوعاً لكنّهُ ليس

---

١) قال الحموي: اذا شرعت في التأليف (تأليف الشعر) تغنَّ بالشعر فانَّ الغناء مضمارهُ الذي يجري فيه (مقالات علم الادب ١: ٢١٧, ٢١٨)

٢) ما نوردهُ من الالفاظ والفقرات بين ممكّفين اخذناهُ من كتاب صفيّ الدين السابق ذكرهُ.

٣) راجع Kosegarten, p. 130

بايقاع لحلوه من هذه الاطوار التي عليها فقط يتوقف الايقاع

ودونك شكلًا نرسمهُ لك يبيّن معنى قولنا بجلاء. ترى في الشكل الاول خطًّا متواصلًا اشرنا بهِ الى المدّة ورسمنا في الخط المذكور نقطًا هندسيَّة لا تنقسم. فكما انَّ نقطتين تحدّان الطول كذلك نقرتان تحدّان الزمن. وجعلنا الابعاد بين النُّقط بنسبة الازمنة بين النَّقرات اي انَّ زمنين متساويين يشاكلهما خطّان متساويان طولًا:

س ا ب ح د و ر ط ك ل ي

الشكل الاول

فلنفترض ان المدَّة س ي تنقسم الى ازمنة ا ب, ب ح, ح د... قياساتها محدودة بنسبة ٢ و١ و٣... الخ وان هذه الازمنة دائمًا متفاضلة فليس هناك ايقاع

امَّا اذ اقترضنا عددًا معيّنًا من النَّقرات ٤ مثلًا ا ب ح د تتخلّلها ثلاثة ازمنة موزونة بنسبة ٢ و١ و٣ ثمَّ اعدنا هذه النَّقرات وازمنتها بترتيبها ومقاديرها مرَّة او اكثر بحيث تكون النَّقرة الرابعة من الجملة الاولى عين النقرة الاولى من الجملة الثانية والنَّقرة الاخيرة من الجملة الثانية عين النَّقرة الاولى من الجملة الثالثة وهلمَّ جرًّا حصل في نظام النَّقرات ادوار متساوية « ا ب ح د » ثمَّ « د ه و ر » ثمَّ « ر ط ك ل »

فاذا ادرك القارئ ما سبق لا يصعب عليهِ ان يفهم التعريف الذي اتى بهِ صفيّ الدين البغداديّ حيث قال (١: « الايقاع (٢ هو جماعة نَقرات تتخلّلها ازمنة محدودة المقادير على نسب واوضاع مخصوصة بادوار متساويات يدرك تساوي تلك الادوار ميزان الطبع السليم »

ولا بأس ان نزيدك من هذا القبيل فنذكر لك شيئًا من اجناس الايقاع وانواعهِ

---

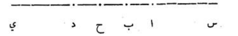
١) راجع المجلة الاسيويَّة (J. A. 1891² p. 344)

٢) قد أُطلقت لفظة الايقاع اوّلًا على وزن الغناء واعلانهِ بالنَّقر. وقد ترجمها بمعنى ما يدعوهُ اليونان ῥυθμός (rythme) فاستعملتها في الشعر والرقص ودقّ الطبول

اعلم انَّ الايقاع يختلف باختلاف عدد الازمنة او النَّقرات او باختلاف مقادير هذه الازمنة او بكلا الامرين معاً

والايقاع على ضربين موصَّل ومفصَّل ولكليهما تقاسيم قال صفيّ الدين (راجع نسخة باريس الوجه الثاني من الصفيحة ٥٠): « كل جماعة نقرات ان كان بينها ازمنة متساوية فانهُ يسمَّى الايقاع الموصَّل . وان كانت متفاضلة فانهُ يسمَّى الايقاع المفصَّل »

فمثال الموصل النَّقرات ا ب ح د . . . في الشكل الثاني فانَّ بينها ازمنة متساوية



الشكل الثاني

ومثل ذلك ايضاً مشية العسكر وقطر الميزاب . وللموصَّل انواع بحسب الزمن ا ب الفاصل بين نقراته فان كان الزمن يساوي واحداً اي اذا كان هو الوحدة المتخذة عياراً لقياس الازمنة قيل للموصَّل « سريع الهزج » وان كان الزمن الفاصل ضعف الاول قيل لهُ « خفيف الهزج » . وان كان ثلاثة اضعاف او اربعة سُمّي « خفيف ثقيل الهزج » او « ثقيل الهزج » وقلَّما يزيد الزمن الفاصل نقرتين من اي ايقاع كان على اربعة أهزاج سريعة والَّا « لا تميزهُ القوَّة الذائقة السمعيَّة » (١

امَّا الزمن المتخذ عياراً اي الوحدة (unité) وهو ما سمَّيناهُ « سريع الهزج » فقد عرفوهُ بانهُ المدَّة الفاصلة بين حرفي السبب الثقيل « تَنَ » اذا لُفظ لفظاً متوسّطاً اي بلا زيادة في السرعة او البطء او ايضاً هو مدَّة لفظ حرف متحرّك لفظاً متوسّطاً تَ نَ . . . الخ (٢ يُسمى ايضاً هذا الزمن الزمن الاول (٣ وعليهِ يكون قياس الخفيف تَنْ وخفيف الثقيل تَنَنْ والثقيل تَنَنَنْ (فَعِلُنْ) ويُقال لهُ الفاصلة الصغرى لانَّ الفاصلة الكبرى هي فَعِلَتُنْ ٥ ازمنة وهي كما قلنا قليلة الاستعمال (٤ وهاك جدول في انواع الموصَّل

---

١) رسالة اخوان الصفا ٩٦ ٢) راجع J. A. *l. c.* 345 et 346 ورسالة الفارابي (ap. Kosegarten) ١٢٨,١٢٩ — واخوان الصفا ٩٥ , ٩٦

٣) *tempus primum* des anciens ٤) الفارابي 128 *op. cel.* p. 128

سريع الهزج	١ ١ ١ ١ ١ ١ ١ ـ.ـ.ـ.ـ.ـ.ـ.ـ.ـــــ ا ب ح د ه و ز ط	تَنْ تَنْ تَنْ الخ
خفيف الهزج	٢ ٢ ٢ ٢ ٢ ـ.ــ.ــ.ــ.ــ.ــــ اَ بَ حَ دَ هَ وَ	تَنْ تَنْ تَنْ الخ
خفيف ثقيل الهزج	٣ ٣ ٣ ـ.ـــ.ـــ.ـــ.ــــــ اَ بَ حَ دَ	تَنَنْ تَنَنْ تَنَنْ الخ كالوتد المجموع في العروض
ثقيل الهزج	٤ ٤ ٤ ـ.ــــ.ــــ.ــــ.ــ اَ بَ حَ دَ	تَنَنَنْ تَنَنَنْ الخ كالفاصلة الصغرى

(الشكل الثالث)

هذا في الموصَل. امَّا في المفصَل فمثالهُ النَّقرات ا ب ح د... كما وردت في الشكل الاوَّل فانَّها يتخلَّلها ازمنة متفاضلة وبمجمل النقرات «ا ب ح» او «د ه و» الخ يُسمَّى جملة. والجملة مؤلفة امَّا من نقرتين او من ثلاث او من اربع ولك في ازمنتها المساواة وعدمها بشرط ان يكون الزمن الفاصل بين جملتين اكبر من اي زمن كان من ازمنة الجملة. في المثل المذكور «ح د» هو الزمن الفاصل بين جملتين يساوي ٣ وهو اطول من زمني الجملة ٢ و ١. وهذه اقسام المفصَّل:

المفصَّل الاول ــ.ــ.ــــ.ــ.ــــ.ــ.ــــ

ا ب اَ بَ اً بً

جملتهُ «ا ب» فيها نقرتان وزمن واحد وفيه اربعة انواع بمقتضى الزمن «ا ب» «اَ بَ» الخ الذي يساوي ١ او ٢ او ٣ او ٤

المفصل الثاني ــ.ــ.ــ.ــــ.ــ.ــ.ــــ

ا ب ح اَ بَ حَ اَ

جملتهُ «ا ب ح» فيها زمنان. وان كان الزمنان متساويين كان المفصَّل هذا «متساويًا» والَّا فهو «متفاضل». ويختلف ايضًا باختلاف الزمنين

المفصَّل الثالث ــ.ــ.ــ.ــ.ــــ.ــ.ــ.ــ.ــــ

ا ب ح د اَ بَ حَ دَ

جملتهُ « ا ب ح د » فيها اربع نقرات وثلاثة ازمنة ويتنوّع كالسابق ولكل هذه الانواع اسماء واصول في تركيبها لا افادة من ذكرها. وهذه الجمل هي كالاجزاء في بيت الشعر منها تتألف ادوار الايقاع وهي كثيرة اورد المؤلفون بعضاً منها. وفي هذا القدر كفاية

وكأني بالقارئ يوقفني عند هذا الحد فيقول : انَّ ما وصفتهُ يصحّ عن تركيب الايقاع في الغناء ولكن يا تُرى أتؤدي معرفة ايقاع الغناء الى معرفة وزن الشعر وايقاعه ؟ جوابنا على هذا السؤال انَّ بين كلا الوزنين شبهاً عظيماً . قال صاحب الرسالة الرابعة من كتاب اخوان الصفا (ص ٩٣) : « قوانين الموسيقى مماثلة لقوانين العروض » اه . وقد صرف كل اهتمامه في ايضاح هذه المماثلة . قال ايضاً الفارابي (ص١٦٣) « ان الاشعار ليس فيها موصّل اصلاً » . فبنفيهِ الايقاع الموصّل اثبت للشعر ايقاعاً مفصّلاً وأدخل وزن الشعر في حكم ايقاع الغناء . ولكن اذا كان ايقاع الشعر مفصّلاً فترى اي نوع هو من المفصلات ؟ او هل يمكن وجود ايقاعات مشتركة بين الغناء والشعر. هذا سؤال لم ارَ جواباً عليه عند العروضيين وان كان لاحد قرائنا معرفة به واطلعنا عليه كنَّا لهُ من الشاكرين . ولا يظنَّنَّ ان في وسعي قطع المسألة انما مرادي الكلام عن بحر واحد ظهر لي ايقاعهُ . ولكن قبل بسط الكلام في هذا الشان يقتضي عليَّ تمهيد الطريق بوضع تفصيلات أُخرى لا بدَّ من ايرادها (ستأتي البقية)

سياحة حديثة في جبة بشرّاي

للاب لويس رنزفال اليسوعي

راقتني في المشرق (٢ : ٧٦٥) رحلة حضرة الاب لامنس الى بلاد البترون فمنَّيت النفس بزيارتها او بدخول المقاطعات المجاورة لها . فما مرَّ عليَّ خمسة اشهر حتى اتاح لي السعد المغبوط ان اسير مع رفقة من معلّمي كليَّتنا الى شمالي لبنان طالبين جبَّة بشرّاي لترويح النفس مدَّة العطلة السنويَّة بعد اتعاب التدريس . وقد لقينا في هذه السياحة من ضروب المسرَّات ما شرح صدورنا وطيَّب قلوبنا فلم نشأ ان يضيع ذكر هذه اللذاذ دون ان ينال قرّاء المشرق منها حظّهم الطيّب ويطّلعوا على ما تحتويه تلك المقاطعة من المحاسن الغرّاء

١

باشرنا رحلتنا على الاثنين الوافق لليوم الثالث والعشرين من تموز راكبين العربات على ساحل البحر وجهتنا البترون فبلغناها عند المساء والشمس على وشك المغيب فكان لمنظرها احسن وقع في قلوبنا اذ رأينا البلدة منبسطة امامنا في سهل فسيح تزينها عيناً اشجار التوت والزيتون في تربة خصبة واقعة في لحف لبنان المتمّ بثلوجه الغرّاء. وشمالاً تبلّل اسوارها القديمة مياهُ البحر تنعكس على ثبجهِ اشعّة الشمس الذهبيّة قبل توارها عن وجه الافق. ووراءها جبل الشقعة مربّع الشكل مستطيلٌ يشبه حصناً حصيناً تستند اليه المدينة كأنّها تلوذ بجاهٍ. فارتاحت ابصارنا الى هذه المناظر ايّ ارتياح بينا كانت هبوات النسيم تلطّف وقدات الجوّ وتُنعش ما فتر من النشاط

وقضينا تلك الليلة في ضيافة راهبات قلبي يسوع ومريم وبتنا في مدارس ديرهنّ المشرف على البحر المجاور لكنيسة القرية الكبرى. ثمّ قمنا باكرًا فحضرنا القداس واستأنفنا السير في ريّق النهار وكان بعضنا مشاةً والبعض الآخر يمتطون الخيل

فتوغّلنا في الجبال وغايتنا ان نبلغ قبل الهجيرة قرية دوما. وكان طريقنا على مدرسة مار يوحنّا مارون في كفرحي فلم نرضَ ان نتجاوزهُ دون ان نسلّم على رئيسهِ الفضال حضرة الاب بطرس ارسانيوس كور وعلى الاب الفاضل بولس طعمه احد معلمي المدرسة. فرحّبا بنا وأسرانا بلطفهما وأبيا ان نواصل سيرنا دون ان نتناول في المدرسة اكلة الغداء. فلم نرَ بدًّا من تلبية دعوتهما فاختبرنا ما جُبلا عليهِ من رقّة الطباع وما يكنُّ قلبهما من معرفة الجميل لآباء رهبانيّتنا وهما من افضل تلامذتها الاقدمين

ومدرسة مار يوحنّا مارون كانت سابقًا ديرًا عامرًا. ثمّ قلّ عدد رهبانهِ فجعلهُ السيد الجليل جرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون سنة ١٨١١ مدرسة لتعليم الاحداث وخصّص لها اوقافًا كافية لمعاش ستة تلامذة ومعلّميهم ثمّ توفّر بعد ذلك عدد طلبتها حتى اصبحت اليوم من احسن مدارس لبنان من حيث تُقى طلبتها ونجاحهم في العلوم وقد خرج منها عدّة رجال ادّوا لطائفتهم خدمًا جليلة

والتقليد الطائفي يروي انّ في هذا الدير كان يقيم ابو الأمّة المارونيّة وأنّهُ فيهِ دُفن الّا انّ قبرهُ لم يوجد حتى الآن مع ما بذل السيّد الجليل المثلّث الرحمة المطران يوسف فريفر من الهمّة في البحث عنهُ

وعلى مسافة ساعة من كفرحي من جهة جنوبها الغربي في عبر الوادي قرية كفيفان لم يسمح لنا الوقت بزيارتها. وفيها قبر احد افاضل الرهبان اشتهر في عهدنا بفضله ومات برائحة القداسة فمجّده الله بعد وفاته بكرامات عديدة يرويها عنهُ القوم الذين يتبرَّكون بزيارته

وكان خروجنا من مدرسة مار يوحنا مارون بُعيد الظهر بعد ان شكرنا لاصحابها فضلهم. ثمَّ اخذنا نترقّى الجبل وكانت بازائنا عقبات الجرد نالمح من وقت الى آخر رأس جبل « ظهر القضيب » المؤتزر بالسحب المُشرف على وادي الارز وغاباتهِ الوارفة. امَّا في الجهة الغربيَّة فكان نظرنا يطلّ على قرية حلتا وطن غبطة السيد الجليل مار الياس حويّك بطريرك الموارنة ثمَّ على سهل طرابلس وبقاعها الخصبة التي تسقيها مياه نهر قاديشا ومجارٍ اخرى تنحدر من اعطاف لبنان

وفي عصر النهار بلغنا دير مار يعقوب للرهبان الموارنة حيث متَّعنا الله بمشهد نحتسبهُ من اجمل مشاهد لبنان فانَّ قرية دوما لاحت لنا كغادة متوسّدة على منحنى جبلٍ في لحفهِ وادٍ تجري فيهِ مياه نهر الجوز النميرة. وهذا الوادي ينبسط على مدى البصر فيهِ من اصناف البقول والاشجار الباسقة والاثمار اليانعة ما يجعلهُ اشبه بحديقة غنّاء تكتنفها الجبال على هيئة نصف دائرة تشمل قرية دوما وسطها كأنها ماكثة تسرح ابصارها في خميلة من الزمرّد بُسطت تحت اقدامها

بيد انَّ هذا المنظر مع ما فيهِ من البهجة والنَّضرة لم يكن ليصرف نظرنا عمَّا في طريقنا من الوعورة والمسالك الحرجة لم نقطعها الّا بعد شقّ النفس. وقد ذكر حضرة الاب لامنس (المشرق ٢: ٨٦٩) هذه الجهات وما صادف فيها من حفاوة سكَّانها لاسيا وجيه قومهِ جناب الخواجا الياس الحاج واسرتهُ الفاضلة واولادهُ الادباء. الّا انَّ ما شاهدناهُ بالعيان أنسانا ما سمعناهُ بالآذان. فجازى الله خيرًا هذه العائلة الشريفة التي وقفت نفسها لخدمة كلّ الساعي المشكورة ناشرةً في تلك الانحاء لواء الفضل والفضيلة

هذا واني اضرب صفحًا عمَّا قاسيناهُ في طريقنا من دوما الى تنّورين التحتاء فتنّورين الفوقاء. وذلك انَّ مؤانسة الاصحاب في مدرسة مار يوحنا مارون وفي دوما كانت اوجبت تأخُّر مسيرنا الى المساء. فادركنا الليلُ ومدَّ علينا رواقهُ الحالك ونحن

نهبط بطون هذه الوديان ونتسنم مشارفها ونعثر باحجارها المتدهورة ونتشبث باعشابها الى ان بلغنا تنورين الفوقا. الساعة العاشرة من الليل شاكرين الله على سلامتنا في هذه المهاوي العميقة التي لا يقطعها المسافر نهارًا الَّا بكل حذر فما قولك عمّن يطوفونها في ظلمات الليل

وما لبثنا ان نسينا اتعاب السفر بما لقيناهُ من الرُّحب والسعة في دار حضرة الخوري مراد فبتنا عندهُ تلك الليلة ضيوفًا مكرَّمين واعاد لنا النوم الهنيّ قوًى جديدة لمواصلة رحلتنا

ولمَّا تنفَّس الصباح امكننا ان نشاهد موقع القرية ومحاسنها الرائعة فوجدناها كقمة نضرة فيحاء تحدق بها جبال رعناء تسيل من اعاليها مياهٌ اصفى من الدمعة تراها تترقرق في جوانبها وتنساب كأنها لسان النَّضناض

وكانت طريقنا في ضحى ذلك اليوم في جبال الجرد توقلنا فيها قاصدين الديمان. وكان نُصب اعيننا قلَّتان مرتفعتان غُرست في اعلاها شُجيرات من الارز أصبحنَ اليوم بعد نصف قرن كغابات وارفة الظلّ فتمنَّينا لو يهتمّ اصحاب الامر بتوفير هذه الغروس او غيرها ليعود لبنان الى بهائهِ القديم يوم كانت تظلّل رباهُ اصناف الاشجار

ثمَّ انتهينا الى سهل عظيم جيد التربة زكيّ الزرع يمتدّ في شمالي شرقيّ ابنسان في سفح قنَّة عالية تبلغ ٢٠٠٠ متر. فقطعنا ذلك السهل الفسيح ووصلنا وقت الظهر الى الديمان مصيف صاحب الغبطة السيد الجليل مار الياس بطرس الحويك بطريرك الموارنة الكلي الطوبى. فكان دخولنا على غبطتهِ اسرّ من يوم العيد فتلطَّف علينا ببركته الرسوليَّة وتلطَّف بان دعانا الى مائدتهِ الفاخرة وقرَّبنا الى شخصهِ الخطير واسمعنا كلامًا غاية في الرقة والانس. ولقينا في حاشيتهِ الكريمة مثل هذا اللطف والايناس

وغبطة السيد البطريرك يسعى في الوقت الحاضر ببناء دار رحبة فخيمة تكون اهلًا بمقام زعيم الطائفة المارونيَّة والذوات الذين يقصدونهُ في فصل الصيف. وقد عهد غبطتهُ هندسة هذا القصر الى الاخ اللعازري لاونزد. اما موقعها فيكون من عن يمين الدار الحاليَّة. متَّع الله بها صاحبها الجليل سنين عديدة يقضيها في الرغد والهناء

ومن الديمان كان نظرنا يكشف على دير السيدة في قنُّوبين الذي يبعد عن الديمان نحو ساعتين على منحدر الجبل فوق ضفَّة نهر قاديشا الموازية

ودير قنّوبين من اقدم اديرة لبنان جعل فيهِ بطاركة الموارنة كرسيهم سنة ١٤٤٠ بعد انتقالهم من دير سيدة ميفوق وسكنوهُ الى عهد الطيّب الذكر البطريرك يوسف الخازن سنة ١٨٤٨ فانهُ جعل سكناهُ في بكركي شتاء وفي الديمان صيفًا

ثمَّ غادرنا الديمان مؤازرين ببركة غبطة البطريرك نحو الساعة الثالثة بعد الظهر وتوجّهنا الى حصرون شرقًا. وكنّا في اول مسيرنا نجاري وادي «القديسين» الى ان عطف بنا الطريق فلاحت لنا على الفور مشاهد فتّانة سحرت عقولنا وحاكت في قلوبنا فشملنا الطرب اذ نظرنا من علُ غابة الارز الشهيرة وجبل المكمل ومنبع نهر قاديشا مع الوادي العميق الذي تنحدر اليهِ مياههُ المزبدة. امّا الارز فكان يظهر في اقصى وادي قاديشا على عدَّة روابٍ تلوح للعين كأنَّها سهلٌ سوي. ويكتنف هذا السهل على شكل مستدير الجبل المرتفع المعروف بظهر القضيب كان يظهر لنا كمحراب هيكل عظيم مذبحهُ غابة الارز وربَّما تتصاعد من اعماق هذا الوادي أبخرة تتكاثف كالسحب تخالها بخور هذا المعبد الجليل تُقدّمهُ الطبيعة تسبحةً لخالقها الثّان. وكانت اشعة الشمس تزيد هذا المنظر جمالًا فتكسوهُ بالوان بهيّة كخضرة البقاع النَّضرة وبياض الثلوج وحمرة الصلصال ودرمدة الصخور المصهورة. وكان «ظهر القضيب» وهو أعلى قنّة المكمل (١ ينطح الثريّا برأسهِ ويجاري العنان بارتفاعهِ

ومع كل هذه المناظر البديعة كنّا نرى على جانبنا واديًا غاية في العمق منحصرًا بين جبلين متقابلين يخرُّ في اعماقهِ نهر قاديشا بصخب عظيم. امّا نبعهُ فتُحيت غابة الارز يتبجّس هناك من الارض ويندفع بقوّة شديدة الى اسفل دركات الوادي فيتلوّى ويتموّج على هيئة رائعة تأخذ بالابصار

وممّا كان يكتشفهُ نظرنا على شمالنا في جهة الجبل القائمة بوجهنا عدد لا يُحصى من الكهوف والمغاور كانت في سالف الاعصار محابس يأوي اليها الرهبان والنسّاك عاشوا فيها عيشة اولياء الله فدُعي الوادي بهم «وادي المقدّس» او «وادي القديسين»

ذلك الى منظر قريتين كبيرتين كنّا نسرّح العيون في محاسنهما البهيّة وهما يتوازيان على جانبي الوادي احداهما على شمالنا وهي بشرّاي والأخرى حصرون على يميننا.

---

١) ظهر القضيب اعلى قمم المكمل يبلغ علوّهُ ٣٠٦٠ مترًا ويأتي بعدهُ جبل الشيخ وعلوّهُ ٢٨٠٠ متر ثمَّ جبل سنين ٢٦٠٠ متر

ولكليهما البيوت المسقّفة بالآجرّ الاحمر يتراكب بعضها فوق بعض كالدرجات المنتظمة وفي خلالها الاشجار الباسقة كالجوز والشربين والعرعر

ومجمل القول اننا أرتعنا الابصار في جميع المحاسن التي زيّنت بها يد الرحمان هذه الاقطار وشكرناهُ عزَّ وجلَّ على ما خصَّها بهِ دون غيرها من الامصار

ومما يحسن هنا ذكرهُ انَّ حكومة الجبل ساعيةٌ في فتح الطريق لتسيير العجلات. وكنّا مراراً نلتقي بالفعلة الذين يشتغلون في هذا المشروع المفيد. ولنا الامل الوطيد انَّ السيّاح يتمكّنون عمّا قليل من السفر في هذه الانحاء بلا عناء ولا نصب. فان العجلات ستقلّهم من البترون الى الديمان فبشرّاي ومنها الى اهدن فطرابلس

وكان وصولنا الى حصرون نحو الساعة الخامسة مساء فاجتزنا في وسطها ولم نختلّها ألّا قليلاً لنأخذ عند عينها نصيباً من الراحة. وحصرون هذه حسنة الموقع تعلو وادي قاديشا كأنها وكر النسر في ارتفاعها وإشرافها على الهوّة يفصلها عن الجبل المقابل لها مسافة قريبة بحيث يخال للناظر ان جسراً صغيراً يمكنهُ الجمع بينهما

وحصرون من احسن قرى لبنان في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة بيوتها حسنة البناء وفيها المياه الغزيرة تسقيها من كل جانب فتجعلها كجنّة رائعة. وقد اشتهر منها قوم شرّفوا الامّة المارونيّة وجعلوا لها اسماً طيّباً في الخافقين نخصّ بالذكر المطران يوسف السمعاني العلامة الذائع الشهرة صاحب المكتبة الشرقيّة وابن اخيه يوسف لويس السمعانيّ مؤلف كتاب مجموع الطقوس وابن اخته المطران اسطفان عوّاد ناشر اعمال شهداء الكلدان وغيرهم من المشاهير نطلب الى المشرق ان يتحفنا قريباً بتراجمهم السارّة واعمالهم الخطيرة

ويلحق بحصرون قرية أُخرى تدعى بزعون لاصقة بها شربنا من مياهها العذبة ثمَّ سرنا مسرعين الى حيث نوينا المبيت فنزلنا على منحدر الجبل ومررنا قريباً من دير كبير يخصّ الرهبانيّة المارونيّة الحلبيّة يدعى مار اليشاع بُني فوق صخر مطلّ على وادي قاديشا في وسط غابة من الصنوبر. وهذا الدير حديث البناء شيّدهُ اصحابهُ بدلاً من دير آخر قديم لا تزال جدرانهُ ماثلة

وبلغنا بعد ساعة من خروجنا من حصرون نهر قاديشا فقطعناهُ على الجسر الذي ابتنتهُ الحكومة اللبنانيّة للعجلات. ثمَّ سرنا قليلاً حتى ادركنا دير مار سركيس

لحضرات الآباء الكرمليين. والدير المذكور قائم على صخر عظيم وهو يدعى لذلك دير الشير ومن حواليهِ الاشجار الممتدَّة الاغصان المتكاثفة الظلال. وليس في هذا الدير سوى راهب واحد وكل اليه رؤساؤهُ حراسة الدير والقيام بلوازمهِ وزراعة اراضيه المجاورة. وللدير معبد صغير جميل المنظر نُقر كلُّهُ في الصخر يقدّم فيهِ الذبيحة احد كهنة بشرَّاي الموارنة. وفي هذا الدير قبر رجل شهير من اعيان الفرنسيين تألّه فيهِ وانقطع الى عبادة الله اسمهُ دي شَسْتُول (Mr de Chasteuil) جاء من جنوبي فرنسة سنة ١٦٣١ فعاش في لبنان عيشة النسّاك وقضى حياتهُ بكل اعمال التقى والصلاح. وكان اكثر سكناهُ في مغارة قريبة من دير مار يعقوب في اهدن ثمَّ انتقل الى دير مار سركيس فيها ايضًا وبقي هناك حتى ارتقى صديقهُ السيد جرجس عميرة الى السدَّة البطريركيَّة فانتقل الى هذا الدير وسكنهُ الى ان رقد بالرب سنة ١٦٤٤ فذاع صيت قداستهِ في كل انحاء بلاد الشام (ستأتي البقية)

ليلة الاهوال

معرَّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناصر (تتمَّة)

وحينئذٍ سمع الفتى قائلًا يقول في جانبهِ: ان هذا الكلب آلَ على نفسهِ ألَّا يعضَّ احدًا منذ الآن

فصرخ الفتى: بحقّ الانسانية والمروءة أجزني ايها الرجل ممَّا دهاني

— لبَّيك يا غلام لا تخشَ امرًا فانَّ عكَّازي هذا الذي اودى بالكلب يكسر اقحاف من اضمروا لك سوءًا

فنظر الفتى الى الرجل فاذا هو ذاك الكهل الفقير ذو الساق الخشبي الذي اكرم عليهِ ببعض الدريهمات في صباح امسهِ. فتقدَّم اليهِ ولاذ بحقوهِ فسكَّن الكهل جاشهُ وقال لهُ: تجلَّد ايها الغلام وكن ثبت الجنان جريَّ الصدر

وفي تلك الساعة اقبل صاحب الفندق وخادمهُ غسبار ليُجهزا على الفتى وهما يحسبان ان الكلب كاد يفترسهُ. فما اشدَّ ما كان اندهالهما اذ شاهدا الكلب مقتولًا ورجلًا آخر غريبًا يكتنف الفتى فنكَّرا في الرجوع على الاعقاب غير ان غسبار احدق النظر

فرأى ان ذلك الرجل الغريب لم يكن الّا شيخاً ابيضّت لمّتهُ وضعفت همّتهُ . ثمّ تقرَّب اليهِ وصاح بصاحب الفنـدق : لا تخفْ إنّ هذا الّا الصعلوك يعقوب انني عرفتهُ حقّ المعرفة فالويل لهُ فانّـهُ هالك لا محالة وهذا جزاء كل من يتدخّل بما لا يعنيهِ من الامور

قال هذا وجرّد كلّ منهما سيفهُ وهجما على يعقوب

بيد انّ يعقوب لم يكن نسي لعب السيف الذي تعوّدهُ في حومة القتال فانهُ حمى نفسهُ بعكّازهِ وردّ عنهُ بحذاقة غريبة ضربات هذين العدوّين الجريئـين وذبّ عن الفتى المستجير الذي كانت خارت قواهُ لا يستطيع حراكاً وصاح بهما صيحة عظيمة وقال تبّاً لكما أيها اللصان الخبيثان فانّ حياتي بحياتكما ولا اموت حتى اذيقكما كأس الردى

ثمّ انبرى يضرب ذات اليمين وذات الشمال وكان عدوّاهُ يقحمان اليهِ احدهما من الوراء والآخر من الامام وهو لا يقوى على ان يدور على نفسـهِ لانّ ساقهُ الخشبيّة كانت تمنعهُ عن ذلك فضايقاهُ وكاد يسقط عيـاء

وبينما كان يكافح هذا الكفاح اذا بفارس يزمّ جوادهُ تراءى بعيداً وهو يجدّ السير نحو محلّ العراك

فصاح يعقوب ايها اللئيمان : ها انّ الدرك مقبل لقطع دابركما فاين الهرب واين المفرّ فانحلّت عزائم اللصين عند ما سمعا ان الدرك يتعقّبهما فولّيا الادبار واركنا الى الفرار

فقال الكهل للفتى وقد دنا منـهُ : أبشر فانك نجوت من الخطر المعظم الذي كان محدقاً بك واشكر الله على انك تلاقيت بي امس العازب . فانني اعلم بامر هؤلاء اللصوص وسوء احوالهم وقد خفتُ ان تكون بتّ في فندقهم فشفقتُ عليك . فأخبرني الان كيف اتفق لك ان دخلت هـذا الكمين ووقعت في ايدي هؤلاء الاشرار المارقين . وما لي اراك لا تنبس ببنت شفة كانّ لا قوّة لك الّا في ساقيك تعمل بهما على الهرب في هذه السهول المتسعة

ففتح الفتى عينيهِ وهو على آخر رمق كأنّهُ لم يصـدّق بنجاتهِ فقال لهُ يعقوب : عدْ الى رُشدك وأفرخ عن روعك فاني لم اعهدك جباناً ضعيف القلب فتُرى ما كنتَ فعلت لو كنت اسيرا في مراكش كما كنتُ انا ؟

وفي اثناء ذلك مرَّ الفارس بهما فنظرا اليه فاذا هو راهب عائد من احدى القرى البعيدة كأنهُ دُعي اليها لعيادة مريض فيها

فقال لهُ الكهل: يا سيدي لا تتجاوز هذا الحدّ من سيرك فانَّ اللصوص راصدة لك في هذا الخان تهجم عليك فتعطبك. ان هذا المكان لعُشٌّ من اعشاش الشيطان

فوقف الراهب واعارهما اذنًا صاغية فقصّا عليهِ جميع ما جرى لهما من اوّلهِ الى الآخر

ثمَّ قال لهُ الفتى: اسرع واطلب لنا الشرط والدرك فان في الفندق رجلًا غريبًا كاملًا فاضلًا اذا ما تداركتهُ عنايةٌ مخصوصة فتك بهِ هؤلاء القتلة فتكًا ذريعًا

فقال الراهب: ومن هو ذلك الرجل الغريب؟

قال: انما هو كاتب سجلات في احدى القصبات المجاورة

— أصحيح انهُ كاتب سجلات؟ فهو اذن صديقي داود فبدارِ بدارِ الى انقاذهِ

فقال القسير: مهلًا مهلًا فان لي رأيًا آخر. ان هذا الفتى قد احسن بقولهِ انَّهُ لا بُدَّ من استقدام الضابطة والدرك

فالاولى بك ايها الراهب ان تركض جوادك وتنقلب عائدًا الى القصبة وهناك تُطلع الحاكم على ما جرى

— فاجابهُ الراهب: اني ذاهب للحال

ثمَّ ضرب الجواد بسوطهِ فكرَّ هذا حتى غاب عن العيان ولبث بعدهُ الفتى وقد استولى عليهِ اليأس وقال: كيف تركتُ ذلك الصديق في ايدي هؤلاء اللصوص وأما كان الاولى بي ان ادعوهُ فيهرب معي. واذا كان بطش بهِ هؤلاء القتلة ألا اكون مؤاخذًا بدمهِ يوم الحساب

فتحرَّك قلب الكهل القسير لما رآهُ في الفتى من الحزن الشديد والاسف الصادق على تركهِ صاحبهُ تحت ضرب السيف فقال: «لا تحزن يا اخي فانّي واثق ان الله تعالى شملك وايَّاهُ بعنايتهِ فخلَّصك قبلهُ كي تسعى بنجاتهِ فاشكر الله على انهُ جمع بيننا في يوم امس وربط قلوبنا برباط الحب المتين وهذا يدل على انهُ لا بُدَّ للمرء من اصحاب في كل محلّ يستعين بهم عند وقوع البلوى ويبث لهم الشكوى

وانني وأَيمُ الله خفتُ عليك من هؤلاء اللصوص. فقمت في هذه الليلة وغايتي ان اصل الى احدى القرى التي تبعد بعض المراحل من مدينة ليون حتى احضر احتفال

عيد يجري فيها غدًا فتناولتُ عصاي وتوكلت على المولى الرحمن وقمت اكدح في هــذا الليــل المدلهمّ. لانك تعلم اني لا اخشى امرًا وان لي قلبًا اشدّ من الصخر الاصمّ. ولم اتمالك ان حانت مني التفاتة نحو هذه الخربات اذ توهّمتُ انك تبيت فيها وخفت ان يلحق بك سوء وقد واصلت سيري حتى اصل وقت قيام الصلاة واجتماع الناس لانني أصيب حينئذٍ خيرًا من احسان المؤمنين كما اعتدتُ من زمن. ولي هناك اصحــاب يتحفونني بهدايا نفيسة. وبينما كنت على هذه الحالة من السير واذا بمصباح يتقدم نحوي كأن يد شيطان تحملهُ فلم اهتم بالامر ولم احتفل لهُ ولم يعزّ عليَّ الّا القليل حتى نظرتُك امامي متهورًا وقد اوشك الكلب ان يمزّقك بانيابهِ ولكن ضربة واحدة بعكّازي هذه جعلتهُ يعضّ التراب ولا يعود يُرعب ابناء السبيل

— حفظك الله ايها الرجل وجازاك خيرًا فانك انت الذي انقذتني من شرّ الهلاك ولو علمتَ امي بهذا الامر لكانت بذلت في سبيل شكرك النفس والنفيس

— قصّ ذلك عليها. ولكن اخبرني الآن كيف تأتّى لك ان تتملّص من هــذا الفندق المشئوم في هذه الليلة الهائلة فاني احب ان ازيد ما في جعبتي من الاخبار

فقام الفتى وقصّ عليهِ جميع ما جرى لهُ منذ دخولهِ الى الفندق الى ساعة نجاتهِ. فتعجب الرجل غاية العجب لما ابداهُ الفتى من رباطة الجأش وعلوّ الهمّة

ثمَّ التفت اليهِ وقال لهُ: انك لجدير بكل مدح وثناء ايهــا الفتى فان ما اقدمتَ عليهِ تحجم عنهُ الابطال ولو اصابني ما اصابك لتضعضعت عزائمي وها اني اراك ترتجف من البرد وما عندي سوى لبدي فالتحفْ بهِ يحميك من البرد قليلًا

قال ونزع لبدهُ والبسهُ ايّاهُ فقام الفتى يعتذر لديهِ ويشكر جميلهُ وما كان من الكهل في تلك الاثناء الّا ان عمد الى قرعة ملأى شرابًا فأتى بها وقدمها للفتى وطلب اليهِ ان يشرب منها فشرب وشرب الكهل بعدهُ فانتعشا واخذ هــذا يقصّ على الفتى قصة اشبه بقصتهِ فقال:

ان احد اصحابي من الجنود كان متجولًا في بلاد اسبانيــة فاضطرّ يومًا في اثناء سياحتهِ ان يقضي ليلةً من الليــالي في منزل كمنزل البغّالين وادخلهُ صاحب المحل الى حجرة لم يكن فيهــا من الاثاث سوى صندوق كبير. فحدثتهُ نفسهُ ان يفتح الصندوق ليرى ما فيهِ ففعل فوجد فيهِ رجلًا مذبوحًا فعنــدها عرف ما ينتظرهُ من الويلات وان

الموت يرود حوله · فخطر له خاطر أجراه للحال وهو انه نهض واخرج الذبيح من الصندوق ووضعه على الفراش الذي كان عازمًا ان ينام عليه ثمَّ القى نفسه في ذلك الصندوق وردَّ عليه غطاءه ولبث ينتظر القدر المحتوم. ولمَّا قارب نصف الليل دخل صاحب ذلك النزل الحجرة وضرب الميت فزاده موتًا وقد كان في غنى عن ان يضرب ثانيةً وصاحبنا في الصندوق يذوق سكرات المنيَّة لخوفه · ولمَّا كان الصباح حضر رجلان وحملا الصندوق وذهبا به فاحسَّ ذلك الصديق انه على ظهر راحلة غير انه خفي عليه المحلّ الذي ينتهيان اليه في مسيرهما وما يكون من امره بعده وقد سمع احدهما يقول للآخر: «لا بأس ان نرميه في هذا الجب العميق» فقلقت نفسه من ذلك واضطرب فؤاده ولم يتمالك من كظم غيظه فضرب الغطاء فسقط ووثب على الارض وهو يصرخ فخالاه حاملاه من أرواح الموتى او من الجان فاركنا الى الفرار لا يلويان على شيء. وهما يطلبان من الله ان يتوب عليهما فانه التوَّاب الرحيم

ولمَّا اتمَّ يعقوب قصَّته التفت الى الفتى فرآه مشغول الفكر فسأله عمَّا يفتكر فاجابه انه فريسة الهواجس وانه خائف ان يلحق برفيقه داود اذى واطرق حينًا ثمَّ قال: ارى الراهب طال امره وتأخر عن ميعاده

وبينا كان الكهل يسكن جأش الفتى ويخفف عنه اثقال الهمّ والكدر واذا بالراهب تراءى عن بعد وحوله عشرون او ثلاثون قرويًا حاملين سلاحًا وفي وسطهم حاكم البلد فانَّ الراهب ما صاح بهم: «الوحى يا اهل الوحى» الّا لبَّوه على الاثر. فلمَّا اجتمعوا بالكهل والفتى اقبلوا جميعًا الى فندق البغَّالين وسبق اليه مقدمة من القرويين دخلوه وطافوا فيه وهم على حذر من حدوث مكيدة. فرأوا ابواب الفندق مفتوحة فطافوه وبالغوا في التفتيش عن صاحبيه فلم يقفوا لهما على اثر وقد وجدوا الكلبة دارا تئن ممَّا اصابها من ضرب العصي وقد كسر احد ساقيها فلم تقوَ على الحركة · فاختلفت الظنون بهما فقال بعضهم: هربا. وقال آخر: اختبأا وطفق كل واحد منهم يفتش عنهما في ناحية فوجدوا جميع الحُجَر مفتوحة ما خلا واحدة منها وهي التي بات فيها كاتب السجلات فدخل عليه القوم وهو مستغرق في النوم

فايقظوه فاستيقظ مذعورًا وظنَّ باديء ذي بدءٍ ان جماعة من اللصوص هجموا عليه ليقتلوه فقام على حيله وصاح بهم: من انتم وماذا تطلبون

فقال الراهب: نحن لسنا الَّا اصحابًا جئنا لانقاذك من خطر عظيم كدتَ تقع فيهِ

— وما هو ذلك الخطر العظيم الذي كدتُ ان اقع فيهِ يا ترى ؟ لعمركم ايها الناس اصدقوني الخبر . . تكلّموا

فنهض حينئذٍ حاكم البلد وقادهُ الى الحجرة التي كانت جُهزت لمبيت الفتى فما رأى الجثة حتى رجع الى الوراء محوقلًا وقد عرف المذبوح فانهُ كان واحدًا من الباعة وكان هو رآهُ منذ يومين

فشرع حينئذٍ كاتب السجلات باجراء التحقيق عن الواقعة امام تلك الجماعة وكان يعقوب حاضرًا ايضًا فرفع تقريرًا مستوفي الشروط في هذا الشأن وقد اثرت فيهِ هذه الليلة الهائلة تأثيرًا لم يبرح من ذهنهِ طول حياتهِ وعلم العلم اليقين ان لله في خلقهِ آياتٍ وانهُ لولا عنايتهِ الالهيّة لما خلص من مخالب الموت الذي اوشك ان يبطش بهِ

ثمَّ بعثوا بعض الرجال الى جهات مختلفة يتعقبون آثار الجاني وشركائهِ حتى اذا ادركوهم احضروهم الى دار الحكومة حتى ينالوا هناك جزاء ما جنت ايديهم

امَّا الفتى فانهُ نال حظوةً في عيني كاتب السجلات فقرب هذا اليهِ وقال لهُ : ايها الفتى ان وظيفتي تقتضي ان يكون عندي فتى مساعد مثلك وقد اختبرتك البارح فنظرت فيك سمات الفهم والذكاء وآنست منك ظرفًا وادبًا فان شئتَ تشغل هذا المحل عندي اكفل لك النجاح والترقي .

فرفع الفتى اكفَّهُ نحو السماء وقد اخذتهُ هزَّة الطرب والسرور فقال : انني لا اقدر ان اجيبك عن هذا الَّا بعد مشورة والدتي ولست اظنُّها تأبى ذلك .

فقال : امهلك ثمانية ايَّامٍ فيما تذهب وتقابل امك وبعدها تأتي اليَّ وانا امتعك بكلّ ما عندي من المال

قال واعطاهُ بعض الدنانير لقضاء حاجتهِ فرجع الفتى الى بيت امّهِ فلمَّا رآها قصَّ عليها حوادثهُ وقلبها يتنازعهُ عاملا الخوف والفرح ثمَّ انكبَّ كلاهما على الارض يشكران الله تعالى ثمَّ قامت الأم وضمَّت ابنها الى صدرها وهي تذرف الدموع وقالت لهُ :

« ايَّاك ايَّاك يا بنيَّ ان تهمل منذ الآن صلاة العشي يومًا من حياتك » (تمت)

مطبوعات شرقية جديدة

الخلاصة الماسونية

البنذة الاولى . معرَّبة بقلم اليا الحاج (ص٣٢)

وعدنا والوعد املك ان ننبّه القرّاء بتعريف هذا الكتيّب اذا ما وقفنا عليهِ . وها هوذا اليوم في يدنا طالعناهُ فوجدناهُ كما سبق اليهِ ظنّنا اعني انهُ مجموع احاديث ملفّقة وخرافات عجائزيّة تعجّبنا كيف لم يخجل من طبعها اصحابها ولكن قد اصبحت اليوم مصر بلاد العجائب ترينا مطابعها من فنونها غرائب . ومصداقاً على قولنا نعرض هنا نُتَفاً من هذه الكرّاسة يزعم صاحبها انها « تاريخ الماسونيّة » هذا اوّلها :

« ان الباحث في كنه تاريخ هذه الشيرة يصعب عليهِ معرفة مبدإها في ايّ زمن ومكان وقد تعدّدت اقوال الكتاب الماسون . . . قال بعضهم انّ مبدأ الماسونية منذ القدم يوم كوّن المهندس الاعظم السموات والارض وخلق آدم وهو ابو الماسون واعياً في صدره العلوم والفنون بارعاً في علم الهندسة »

فيرى القرّاء ان لدى الماسون من الكتب القديمة ما سبق عهد موسى الكليم لانّ هذا النبيّ نسي في التوراة ان يخبرنا عن هندسة آدم وعن كونهِ ابًا للماسون

ثمّ افادنا جناب المؤلف (ص ٣) :

« انّ هذه الصناعة اي الهندسة انتقلت الى مصر بواسطة مصرائيم احد انجال حام وكان ذلك بعد تبلبل الالسنة عند بناء برج بابل بستّ سنوات (قد درُّهُ من مؤرخ محقق وحاسب مدقّق) . . . واشترب المصريون الاقدمون هذه الصناعة . . . وكان مثلهُ بينهم كمثل كولمبوس بين هنود اميركا . . . »

فكيف لا يفتخر المصريّون بجمعيّة الماسون بعد ان ورثوا هذا العزّ الباذخ والشرف الشامخ من فضل الماسونيّة . ثم قال :

« وقال احد الكتّاب انّ الماسون قوم من البثاكوراسيين (كذا) تألفوا جمعيّة وصلت الى ما هي عليهِ الآن من العظمة »

واغرب من ذلك قولهُ وقد جعل اليسوعيين والماسون (اي النار والماء) اخوة :

« وقال آخر : انّ الماسون جماعة من اليسوعيين الانكليز في بريطانيا »

عشنا بين اليسوعيين في انكلترة اربع سنين دون ان نطّلع على كلّ هذه الحقائق

التاريخيّة الساطعة . غير انّنا لا نعلم كيف توافق ما كتبهُ المؤلف بعد ذلك حيث قال (ص ٥) :

« وكان اليسوعيون بعد ظهورهم الى عالم الوجود يميلون الى ابناء الحرَّية لمهارتهم في الصنائع بغية بناء كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم غاية في الابداع وجلّ مقصدهم ان يلاشوا الماسون عن وجه الارض كما كان يفعل الملك فرعون ببني اسرائيل ايّام كانوا يعملوا (كذا) بالاجرّ »

نشير على المقتطف الماسوني ان يقرأ هذه النبذة ولا يعود ينكر انّ العلم يقرّر بوجود بني اسرائيل في مصر واستعبادهم فيها (المشرق ٣ : ٨٠٠) ما لم يُرد ان ينبذ أقوال اخوتهِ الماسونين الذين برعوا مثل اليا الحاج في علم التاريخ

وهو قد زاد في اصل الماسون اقاويل أُخرى تدلّ كلها على رفيع مقام هذه الشيعة وشرف اصلها لم ينسَ الّا قولًا واحدًا هو عندنا الرأي الصائب انّ منشئ الماسون هو الشيطان الرجيم صاحب المبادئ التي يتفاخر بها الماسون اعني تقويض كل دين وسلطة

هذه نبذة وجيزة تنبئك ايها القارئ بترّهات الماسونين وكتبتهم وتعرّفك بمحاسن هذا الكُتيِّب الجديد . وليس لجرجي افندي زيدان صاحب تاريخ الماسونية ان ينتقد على هذه الخلاصة فان كليهما سيَّان . . . في الكذب والبهتان ل . ش

الآثار العدليّة

لجناب المحامي اسكندر افندي عبُّود وكيل دعاوي

طُبع في المطبعة العثمانيَّة في بعبدا سنة ١٩٠٠

اهدى جناب المحامي الكاتب اسكندر افندي عبُّود الدمشقيّ مولدًا والبيروتي سكنًا لإدارة مجلة المشرق كتابهُ المسمَّى الآثار العدليَّة الذي لدى مطالعتهِ يُفهم منهُ ان صاحبهُ نقل مجملًا الى هذا الكتاب بعض فقراتٍ من الارادات السلطانيَّة والتحريرات العليَّة والموادّ القانونيَّة ومن قرارات محكمة التمييز ممّا هو وارد جميعهُ مفصلًا في جريدة المحاكم التي تطبع في الاستانة العليَّة قسمها الرسمي وان اقصى الفائدة من هذا الكتاب هي الاخبار عن صدور ارادة سنيَّة بكذا وتحريرات عليَّة بكذا وقرارات من محكمة التمييز بما هو كذا وانهُ يرشد مطالعهُ الى الوقوف على تلك الاصول التي ألمّ اليها صاحبهُ فيهِ ليُعتمَد عليها لا عليهِ . ويختصّ ذلك بالمنتهي الضليع في علم الحقوق لان غيرهُ لا يرتشد الى تلك الاصول ممّا ورد في هذا الكتاب ومن المعلوم ان المحاكم

العثمانية لا تسند احكامها الّا على متون الشريعة والقانون وكل واحدةٍ منها تجدُ ذاتها مستقلة في فهم النصّ الشرعي والقانوني الذي تحكم بموجبهِ. وبناء عليهِ فنحن نبدي من الشكر لصاحب هذا الكتاب ونتمنى لهُ رواجًا بمقدار ما لهُ من لازم الفائدة للخاصّة والعامّة. طُبع في بعبدا. ١٩٠٠. ص ٣٨٤ طانيوس ابو ناضر

شذرات

❊ ملاحظة على لفظة صفراغون ❊ قرأتُ في العدد السادس عشر من مشرقكم الاغرّ (٢ : ٧٣٢) كلامًا لحضرة الاب الفاضل الاخ انستاس الكرملي عن طائر يسمى صفراغونًا وقد اطال الكلام في بيان اوصافه واسمائهِ وتفنيد آراء غيرهِ وترجّح عندهُ ان الصفراغون المذكور لفظٌ يوناني يسمّى بالعربيّة عصفور الشوك الخ . . . وفي اثنا مطالعتي كلامهُ ظهر لي ان لفظة صفراغون كلدانيّة مركّبة من كلمتين مجزومتين ܨܦܪ ܓܘܢ اي طائر ذو ألوان او ملوَّن. ولاثبات قولي دليلان: الاول شيوع نظير هذا التركيب في اللغة الكلدانيّة شيوعًا عظيمًا فمن ذلك كلمة ܨܦܪ ܕܡܒܠܬܐ زرزور. ܨܦܪ ܟܠܒܬܐ نمامة ܨܦܪ ܕܡܠܬܐ بلبل ܨܦܪ ܦܢܝܬܐ زرافة الخ. والثاني تسمية اهالي قرى الموصل واطرافها من الكلدان لهذا الطائر في لغتهم الدارجة ܨܦܪܐ ܡܪ ܓܘܢܐ (١ اي عصفور ذو ألوان او ملوَّن وهو بجثة العصفور المعروف. ويرد هذا الطائر الى تلك النواحي بكثرة عظيمة قبل اوان الحصاد بقليل لالتقاط الحبوب من السنابل وهو يضرّ بالزروع كثيرًا ولذلك يخرج الاهالي لطردهِ وزجرهِ بطرق مختلفة. ويوجد على ظهر هذا الطائر وذنبه ألوان مشرقة لمّاعة بديعة الاشكال. وحسب زعمهم انهُ يأتيهم من جبال آثور اي (كردستان) الشامخة الممتدّة في تلك الاقطار. وقيل ايضًا انهُ يعشّش في سهول اراضيهم وبقاعها بين تلك الاشواك والادغال الملتفة الموجودة هناك بكثرة وعند اشتداد الحرّ يرحل الى حيث اتى والله اعلم . (القس ج. قرياقوزه)

❊ سيّارات جديدة ❊ اكتشف في ٢٠ من الشهر الماضي الفلكي

---

١) ان لفظة ܡܪ المعترضة تعني بالعربية صاحب او ذو وهي كثيرة الاستعمال في لغتهم فمن ذلك قولهم ܡܪ ܒܝܬܐ صاحب البيت ܡܪ ܓܘܢܐ ܐܘܟܡܐ صاحب اللون الاسود او اسود اللون وهلمَّ جرًّا

وُولف (Wolf) في مرصد كونغستال قرب هَيدلبرغ ثلاث سيَّارات جديدة اتخذ احداها كمقياس لمعرفة بعد الشمس عن الارض

مُكاتب المعلومات — قرأنا في العدد ٢٣١ من المعلومات رسالةً بامضاء محمود زكي ذكر فيها كتابنا الموسوم بشعراء النصرانيَّة ولامنا على اننا عددنا بين شعراء النصرانيَّة «السموأل ولبيد» فاستدللنا بهذا القول انهُ لم يقرإِ الكتاب لان لبيد والسموأل لا ذكر لهما في جملة شعراء الجاهليَّة النصارى. امَّا نصرانيَّة امرئ القيس والنابغة والاعشى وزهير فلا نشكُّ فيهـا راجع المشرق (١ : ٥٢٥). وللمكاتب ايضاً كلامٌ مرَّ في مجموعنا مجاني الادب. وكفانا لدحضهِ ما قلناهُ في المشرق (٣ : ٤٤)

أَسئلةٌ وأَجوبة

سؤَال من ادارة المشرق لجريدة المنار — زعم المنار في عددهِ الاخير ان حضرة الارشمندريتي حدَّاد بيَّن بما لا مردَّ عليهِ من آيات الكتاب ونصوص الآباء ان الروح القدس منبثق من الآب «وحدهُ». فنطلب الى صاحب جريدة المنار او الى حضرة الارشمندريتي ان يذكرا لنا هذه الآيات والنصوص الوارد فيها انَّ الروح القدس منبثق من الآب «وحدهُ» فنكون لعلمهما من الشاكرين

س كُتب لنا من احدى مدارس لبنان انَّهُ جرى فيها مباحثة عن الطغمة اليسوعية أهي رهبانية بحصر المعنى او اخوية فنكر البعض كونها رهبانيــة مستندين الى ما ورد في مختصر تاريخ الكنيسة للخوري يوسف داود (ص ٣٤٨) والى ترجمةِ لمختصر تواريخ الكنيسة للمعلم لومون (ص ٥٣٩) فاستفتى الكاتب مجلة المشرق

الرهبانية اليسوعية

ج لا شكَّ في ان الطغمة اليسوعيَّة رهبانيَّة بحصر المعنى كرهبانيَّات الفرنسيسيين والدومينيكيين والاوغسطينيين لا تختلف في ذلك عنها شيئاً. ولنا على ذلك ادلَّة عديدة ١ً انهُ لا ينقصها شيء من جوهر الحياة الرهبانيَّة القائمة بالنذور الثلاثة الدائمة اي الفقر والعفَّة والطاعة. وهذه النذور ليست هي فقط بسيطة وذلك يكفي لحقيقة الحياة الرهبانية بل هي ايضاً علنيَّة يبرزهـا اليسوعيون بازاء الكنيسة على مقتضى قانون اثبتهُ الكرسي الرسولي مراراً. ٢ً اجماع اللاهوتيين على هذا الرأي. قال العلامة سُوارس (Suarez): «لا اظنُّ ان رجلاً كاثوليكيّاً انكر قط كون طغمة يسوع هي رهبانيَّــة

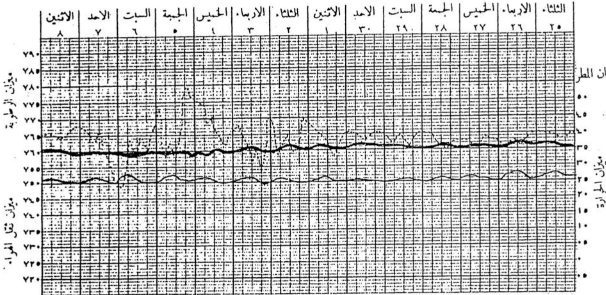
بحصر الكلام. لان من انكر ذلك على الطغمة اليسوعيَّة نفى بالوقت نفسه كون الفرنسيسيين والدومينيكيين هم حقيقةً من الرهبان». ٣ وقد صرح المجمع التريدنتيني (في الجلسة ٢٥ الفصل ١٠) ان طغمة يسوع رهبانيَّة حقيقةً. ٤ ثمَّ للاحبار الرومانيين براءات عديدة قرَّروا فيها هذا الامر ولم يُبقوا شبهةً بل ادخلوا الرهبانيَّة اليسوعيَّة في حكم الرهبانيَّات المتسوّلة (ordines mendicantes) كفانا شهادة البابا القديس بيوس الخامس من الرهبانيَّة الدومينيكيَّة فانَّهُ أعلن في براءتهِ التي بدؤُها *Dum indefessæ* انَّ طغمة يسوع وجميع اعضائها يُعدُّون في جملة الرهبان المتسوّلين « Personas (Societatis Jesu) omnes et singulas vere et non ficte mendicantes fuisse, esse et fore pronuntiamus » وكذلك اثبت غريغوريوس الثالث عشر في براءتهِ التي اوَّلها « *Ascendente Domino* » انَّ الرهبنة اليسوعيَّة هي رهبانية متسوّلة « vera Religio mendicans ». امَّا ما كتبهُ الطيب الذكر السيد اقليميس يوسف داود فكتبهُ قبل اسقفيَّتهِ اذ لم يكن يعرف الرهبانيَّة اليسوعية فوهم في ما كتب. ولنا الأمل ان ما قالهُ في هذا الصدد يُصلح في طبعة ثانية

س وسألنا حضرة الخوري الفاضل فرنسيس الشالي: ١ هل يقتضى على المشترك في شركة الورديَّة المقدَّسة وثوب الكرمل وثوب الحبل بلا دنس وثوب الآلام ان يدوّن اسمهُ فيها وفي اي مكان يتمّ ذلك وهل يقتضى تبريك هذه الاثواب عند تجديدها. ٢ هل يكتسب الغفران الكامل من صلى الصلاة المبيَّنة بعد المناولة التي بدؤها « ها انا اجثو امام حضرتك » كما هي مرتَّبة في كتاب الصلوات المطبوع في مطبعتكم

شركات الورديَّة والاثواب المقدسة — صلاة « ها انا اجثو »

ج نجيب على (الاول) انهُ سبق لنا كلام في المشرق على ثوب سيدة الكرمل (٣: ٦٣٥) وكذلك عن ثوب الحبل بلا دنس (٢: ٥٧٥) فليُراجع. امَّا الاشتراك بالورديَّة فيصير في اي كنيسة كانت أُنشئت فيها هذه الشركة قانونيًّا ولا بدَّ من تدوين اسم المشترك في سجلّ هناك. وهذا التدوين لا يُفرض على المشترك بثوب الآلام الذي يشرك به الاباء اللعازريون او من رخَّصوا لهُ بذلك. واعلم ان من اشترك باحد الاثواب المذكورة يمكنهُ ان يجدّدهُ بلا تبريك الكاهن واذا حصل نقص في الاشتراكات السابقة لسنة ١٨٨٤ فقد تلافى البابا لاون الثالث عشر هذا الخلل ببراءة خصوصيَّة وكذلك اصلح سنة ١٨٩٤ ما وقع من الخطأ في اشتراكات ثوب سيدة الكرمل. ونجيب على (الثاني) بالايجاب ل. ش

قائمة للآثار الجوّية من ٢٥ ايلول الى ٨ تشرين الاول ١٩٠٠



انَّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (---) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالمِلمترات وعُشر المِلمترات